

روايات عالمية للجيب 60

Looloo

www.dvd4arab.com



تأليف : شريدان لوفانو

ترجمة وإعداد : د. أحمد خالد توفيق

كارمينا

## المؤلف



شريدان لوفانو

Sheridan Le Fanu

أديب أيرلندي فكتوري نال  
شهرة ساحقة في فترة من  
الفترة كرائد قصة الأشباح  
للحديثة ، ثم لم يعد أحد يقرؤه  
لأسباب سوف نتكلم عنها حالا .  
اشتهر بقصصه ( الخال سيلاس  
- ١٨٦٤ ) و ( المنزل المجاور

لغناء الكنيسة ١٨٦٣ ) على أن قصته الأشهر هي ( كارميلا  
Carmilla ) التي نقدمها لك هنا .. وهي قصة مصاصي الدماء  
الأهم ، ويقال إنها الأفضل كذلك ، والتي قيل إنها ألهمها  
( ستوكر ) بقصة ( دراكيولا ) .. على الأقل كانت من  
مصادره الأساسية ..

ولد الرجل عام ١٨١٤ في ( دبلين ) لأسرة ثرية وأب من  
رجال الاكليرك .. درس القانون في كلية ( ترنتي ) وتخرج في



عام ١٨٣٧ ، وفي العام ١٨٤٥ قدم قصته الأولى (النيك والمرساة) .. وكان شديد الإعجاب بلأب (والتر سكوت) . لم يمارس المحاماة قط لكنه اتهمك في عالم الصحافة . كان ضد انفصال إيرلندا عن إنجلترا لكن هذا كان يظهر في مقالاته ، بينما لم تكشف قصصه قط عن ميوله السياسية .

تزوج عام ١٨٤٤ ورزق بأربعة أطفال .. وبعد وفاة زوجته صار أميل إلى العزلة حتى أطلق عليه اسم (الأمير الخفي) بسبب عزلته وانطوائه وعادات كتابته الليلية .. كان يكتب من منتصف الليل حتى الفجر مستعيناً بشمعتين عن يمينه ويساره ، ولم يكن يكتب إلا في الفراش .. توفي عام ١٨٧٣ ونسيت أكثر أعماله ، ويعود هذا للنظرة العامة حتى في الخارج إلى أدب الرعب على أنه أقل شأنًا من الأدب الإنساني .

كان هذا حتى عام ١٩٢٣ عندما قدم الناقد (م . جيمس) مجموعة قصص له تحت عنوان (حكايات الغموض) .. عندئذ تذكر العالم أهمية هذا الأديب وخياله الخصب ..

الأحداث الغريبة في قصصه تقبل عدة تفسيرات ، منها الأشباح ومنها الهلوس النفسية أو المجازات اللغوية . هناك قصة له اسمها (الشاي الأخضر) عن قس يطارده شبح قرد ويجعل حياته جحيمًا .. حتى في لحظات الصلاة يشب القرد ليغطي صفحات الإنجيل . في النهاية ينتحر القس ، لكن يبقى السؤال عما إذا كان الشبح حقيقيًا أم أن هذه هلوس سببها الشاي الأخضر الذي اعتاد القس شربه .. في تلك الفترة شاع شرب الشاي الأخضر الذي اعتقد كثيرون أنه يحوى مخدرًا ما . هكذا كان يترك للقارئ تفسيرين ليختار بينهما : الطبيعي والخارق للطبيعة . وكان من عاداته كذلك أن يستخدم قصصه القصيرة السابقة كنواة لروايته .. إن رواية (مستر جاستيس هاربوتل) كانت قصة قصيرة قديمة له اسمها (وصف لبعض الاضطرابات الغريبة في شارع أونجير) ..

تحكي قصة العم (سيلاس) حكاية مثيرة لكن من غير أشباح عن الفتاة الشابة (مود) التي توفيت أمها ، ويحاول الوصي الشرير عليها (سيلاس) أن يزوجه ابنه المتزوج فعلاً ليظفر بثروتها ..



وفي قصة (كارميلا) التي كتبها عام ١٨٧٢ ، نرى صداقة حميمة بين فتاتين ، تدرك واحدة منهما أن صديقتها الحبيبة هي مصاصة دماء اسمها (ميركالا) عاشت منذ مئات السنين .. عادات مصاص الدماء تختلف هنا عن التقاليد المحفوظة التي تعلمناها من شخصية دراكيولا . على سبيل المثال يمشى مصاصو الدماء هنا في الشمس . تحتفظ القصة بالكثير من جو الغموض حتى بعد الخاتمة (سوف تجد أن أسئلة كثيرة لم تتم الإجابة عنها .. من المرأة الغامضة التي ترتدى الأسود ؟ من هو السيد الشاحب ؟ هل روى الفتاتين مشتركة فعلاً ؟ إلخ .. إلخ ) .. لكن هذا الغموض ساحر في حد ذاته يعطي العمل ثراءً شعرياً ..

هذه القصة المحفوظة قدمتها السينما للعالمية مرات عديدة ، وقدمتها شركة ( هامر Hammer ) للبريطانية المختصة في الأفلام الرعب عدة مرات فيما عرف بـ (ثلاثية كارنشتاين) .. هذه الأفلام التي قامت ببطولة أكثرها (إنجريد بيت) لم ولن تعرض في مصر لما فيها من حسية شديدة ، وعلى كل حال يمكن القول إن كل مصاصة دماء في السينما العالمية خرجت من

عباءة رواية (كارميلا) هذه .. القصة الأصلية قصيرة جداً لذا يمكن اعتبار هذه الترجمة حرفية .

للمهتمين بمعرفة المزيد عن (لوفانو) ، نقدم هذا الموقع الياباني الذي يستخدم الإنجليزية :

<http://www.lang.nagoya-u.ac.jp/~matsuoka/Fanu.html>

وهو موقع يقودك لكل ما ذكر عن هذا الأديب على شبكة الإنترنت ، مع الكثير من أعماله طبعا ..

د . أحمد خالد

## مقدمة

على ورقة مرفقة بالنص التالي كتب د . ( هيسيليوس )  
مذكرة مدققة مصحوبة بمراجع بحثه العلمى فيما يتعلق  
بالموضوع الغريب الذى يطرحه النص .

لقد تعامل مع موضوع الدراسة الغامض بفطنته وثقافته  
المعهودتين ، وبشكل مباشر موجز . ولنسوف تشكل هذه  
الدراسة مجرد جزء من معرفة هذا الرجل .

وإذ أنشر هذه القصة فى هذا الكتاب كى أثير شغف سواد  
الناس ، فإتنى لا أضيف شيئاً إلى جهود السيدة الفاضلة التى  
تحكى القصة .. ولهذا أيضاً قررت ألا أعرض هنا أيّاً من  
آراء الطبيب المثقف أو أستخرج شيئاً من النتفج التى توصل  
إليها فى موضوع يصفه بأنه ( على الأرجح يتضمن بعضاً  
من أعرق أسرار وجودنا المزدوج وأطواره الوسيطة ) .

كنت حريصاً وقد وجدت هذه الورقة أن أعيد فتح  
مراسلات د . ( هيسيليوس ) مع إنسانة بارعة ذكية كالتى

استمد منها معلوماته . إلا أننى عرفت للأسف أنها توفيت  
فى الفترة السابقة .

كان بوسعها على الأرجح أن تضيف شيئاً للقصة التى  
تحكىها فى الصفحات التالية ، خاصة أنها حكته بهذه الدقة  
وهذه الأمانة .



## الفصل الأول

### وعب مبكر

في مقاطعة (شتيريا) (\*) نعيش في قلعة برغم أننا لسنا بالقوم الأثرياء على الإطلاق . إن أقل الدخل في هذه البقعة من العالم يحقق لك الرغد ، وثماتمائة أو تسعمائة جنيه في العام كفيلاً بتحقيق المعجزات ..

كان أبى بريطانيًا وأنا أحمل اسمًا بريطانيًا برغم أنني لم أر إنجلترا قط .. لكن هنا في هذه البقعة المنعزلة البدائية حيث كل شيء رخيص الثمن ، لا أتصور كيف يضيف المزيد من المال شيئاً لرفاهيتنا وراحتنا .

كان أبى يعمل في الحكومة النمساوية ثم تقاعد واشترى هذه الإقطاعية والعقارات الموجودة بها .. كانت صفقة .

ما كان هناك شيء أكثر جمالاً ولا عزلة .. إن أرضنا تقف على بقعة مرتفعة من الدغل ، والطريق الضيق الضيق يمر أمام جسر متحرك لم أره يرتفع في حياتي كلها .. والخندق المائي

(\*) مقاطعة في النمسا ..

تحت هذا الجسر يسبح فيه البجع ، وعلى سطحه يطفو السمون الأبيض .

وفوق هذا كله تبدو القلعة بواجهتها ذات النوافذ الكثيرة ، وأبراجها القوطية . وتطل على ساحة مفتوحة جميلة من الغابة ، وعلى اليمين ينحدر جسر قوطي الطابع بالطريق نحو الأحرش .

قلت لك : إن هذا مكان مقفر .. عليك أن تحكم على مقدار صدقي . فلو نظرت من باب الرواق إلى الطريق لوجدت أن الغابة تمتد خمسة عشر ميلاً لليمين واثنى عشر ميلاً للشمال . أقرب قرية مسكونة على بعد سبعة أميال إلى الشمال . أقرب قلعة ذات أهمية تاريخية هي قلعة الجنرال (شبينزبورف) التي تبعد عشرين ميلاً إلى اليمين .

قلت (أقرب قرية مسكونة) ؛ لأن هناك على بعد ثلاثة أميال غرباً قرية متهدمة بها كنيسة صغيرة بلا سقف ، فيها القبور المتحلفة لآل (كارنشتاين) الذين انقضت أسرتهم ، والذين كانوا يملكون القصر الخرب الذي يطل من بين الأحرش على البلدة .



فيما يتعلق بسبب هجر هذه البقعة الحزينة ، فهناك  
أسطورة سوف أحكيها لك في مرة أخرى .

لابد الآن أن أحكى لك عن المجموعة الصغيرة التي  
تعيش في قلعتنا .. لن أحصى الخدم ولا التابعين الذين  
يعيشون في غرف ملحقة بالقلعة .. أصغ واتدهش ! هناك  
أبى أطيبي إنسان على وجه الأرض لكنه قد تقدم في  
العمر .. وأنا في التاسعة عشرة عندما وقعت قصتي ..  
لقد مرت ثمانية أعوام منذ ذلك الحين .. أنا وأبى نمثل كل  
ساكني القلعة .. لقد توفيت أمي النمساوية في طفولتي  
لكن تولت أمي مربية طيبة ظلت معي طيلة طفولتي .  
لا أذكر متى لم يكن وجهها الممتلئ العطوف جزءاً من  
ذكرياتي .

كان اسمها مدام (بيرودون) .. من مواليد (برن) ..  
وقد عوضني حنانها عن فقد أمي التي لا أنكرها .. كانت  
هذه المرأة هي الثالثة على مائدة عشتنا .. وكانت هناك آنسة  
رابعة هي مدموازيل (دي لا فونتين) هي ما يطلقون عليه

مساعدة مربية ، وكانت تجيد الفرنسية والألمانية . كنت أنا  
وأبى نتكلم الإنجليزية كي لا ننساها ، ومن قبيل الوطنية ..  
الناتج كان برج (بابل) اعتاد الغرباء أن يضحكوا منه ..

كانت هناك كذلك ثلاث آنسات من نفس عمري يزرننا من  
حين لآخر وكنت أرد لهن الزيارات أحياناً .

كانت حياتي وحيدة . أؤكد لك هذا ..

كانت مربيتاي تسيطران علىّ تماماً ، كما لك أن تخمن  
معلمتهما لفتاة مثلة يسمح لها أبوها بعمل أي شيء ترغب فيه .

أول حادثة في حياتي أحدثت انطباعاً رهيباً في نفسي  
لا أستطيع نسيانه ، وكانت من أوائل الأشياء التي حدثت لي  
في حياتي . سوف يرى البعض أنها تافهة بحيث لا تستاهل  
الذكر هنا . لكنهم سيفهمون شيئاً فشيئاً أهميتها .

كانت غرفة الحضانة كما يطلقون عليها برغم أنني كنت  
أحتلها وحدي غرفة كبيرة في الطابق العلوي من القلعة  
ولها سقف مائل من خشب البلوط ..



لا بد أنني كنت في السادسة عندما صحت ذات ليلة ونظرت  
حولى للغرفة وأنا في فراشى . لم أر المربية .. ما كنت خائفة  
لأننى كنت من الأطفال المحظوظين الذين لم يسمعوا قصص  
الاشباح وكل هذه الحكايات التى تجعلنا نغطى رءوسنا عندما  
يصدر الباب صريراً ، أو يتراقص ضوء شمعة فيبدو عمود  
السريـر كأنه يتحرك ..

فقط تضايقت لأننى شعرت بالإهمال وبدأت أن ، عندما رأيت  
لشدة دهشتى وجهاً رائع الجمال ينظر لى من جانب الفراش ..  
كان وجهه شابة تركع وبداها تحت غطاء السريـر .. داعبت  
شعرى ثم رقدت جوارى على الفراش وجذبتى نحوها وهى  
تبتسم ..

شعرت فجأة بالراحة وعدت للنوم .. إلا أننى صحت  
شاعرة كأن إبرتين اخترقنا صدرى بعمق فى اللحظة ذاتها  
فصرخت بصوت عال ..

تراجعت السيدة وعيناها على ثم نزلت إلى الأرض وبدأ  
لى أنها تولدت تحت الفراش ..

الآن شعرت بالخوف لأول مرة .. صرخت بكل قوتى ..  
جاءت المربية ومديرة المنزل ومساعدة المربية .. وسمع  
قصتى فاستخفن بها وقمن بتهدئتى ، وبرغم أننى كنت طفلة  
فقد لاحظت أن وجوههن شاحبة من فرط القلق ورأيتهن  
ينظرن تحت الفراش .. وفتشن الغرفة وخزان الثياب ..  
وقالت مديرة المنزل للمربية :

« ضعى يدك على هذا المنخفض فى الفراش .. أحده  
رقد هنا .. المكان ما زال دافئاً »

أتذكر أن المربية ربت على وتفحصت ثلاثهن صدرى  
وقلن إنه لا توجد علامة على أن شيئاً مما حكيت قد وقع ..  
ظلت التموة الثلاث ساهرات جوارى طيلة اليوم ، ومنذ ذلك  
اليوم ظلت واحدة معى فى غرفتى حتى بلغت الرابعة عشرة  
بعد هذه الحادثة صرت عصبية ، وطلبوا لى طبيباً ..

أنكر وجهه الكئيب الذى شوهه الجدى نوعاً .. وكان يأت  
لى يوماً بعد يوم ليعطينى الدواء الذى كنت بالطبع أكرهه



أذكر كيف جاء أبى ووقف جوار الفراش ثم راح يتكلم فى مرح .. كيف سأل الممرضة عن أشياء وهو يضحك ، وكيف ربت على كتفى وقال لى ألا أخاف لأن هذا مجرد حلم لا يمكن أن يؤذيتنى .

لكنى لم أسترح .. لأنى كنت أعرف أن زيارة تلك السيدة لم تكن حلمًا ..

قالت لى مساعدة المربية إنها هى التى جاءت ليلاً ونامت جوارى ، وإننى بالتأكيد كنت نائمة فلم أعرفها ، لكن هذا التفسير لم يرق لى .

أذكر ذلك اليوم أن شيخاً جليلاً يلبس ثياب كاهن جاء لغرفتى مع المربيكتين ، وراح يتكلم معهما .. كان وجهه عذباً لطيفاً ..

قال لى إنهم سيصلون وطلب أن أمسك بيده وأقول معه :

« رب اسمع كل صلواتنا من أجل يسوع .. »

أعتقد أن هذا ما قاله لأننى ظللت أرده لنفسى عدة أعوام كما طلبت منى المربية .

ركع ومعه ثلاث النسوة وصلى بصوت عال .. لقد نسييد الكثير بعد هذا لكن هذه الذكريات ستبقى حية فى ذاكرتى كأنها صور من حلم أو هلوسة ..

\*\*\*

## الفصل الثانى

### ضيف

الآن سوف أخبرك بشيء غريب حتى إنه يقتضى كل ما لديك من قدرة على التصديق ..

ليس حقيقياً فقط بل إنه حقيقة كنت شاهد عيان عليها ..

كانت ليلة صيف جميلة وطلب منى أبى أن أتمشى معه فى تلك الغابة التى وصفتها لك والواقعة أمام قلعتنا ..

قال أبى ونحن نبدأ جولتنا :

« لن يلحق بنا جنرال (شبيلازورف) بالسرعة التى أتمناها .. »

كان الجنرال قادماً لزيارتنا لبضعة أسابيع وكنا ننتظره فى الغد . كان سيجنب مع ابنة أخيه المدموازيل (راينفلت) التى لم أرها قط ، لكن سمعت أنها فتاة فاتنة ، وقد وعدت نفسها

بوقت طيب معها . شعرت بإحباط لأن هذه الزيارة ظلت فى أحلامي فترة طويلة .

« ومتى يأتى إذن ؟ »

« أجلسر على القول إن هذا ليس قبل الخريف . شهران من الآن .. وإبنى لسعيد يا عزيزتى لأنك لم تعرفى المدموازيل (راينفلت) قط »

سألته بفضول :

« ولماذا ؟ »

« لأن للشابة المسكينة قد ماتت .. نسيت أننى لم أخبرك لكنك لم تكونى معى عندما تلقيت رسالة الجنرال فى ذلك اليوم »

شعرت بصدمة .. لقد ذكر الجنرال فى خطاب سابق منذ ستة أسابيع أنها ليست بخير كما يتمنى .. لكن لم يكن هناك ما يدعو للتفكير فى أن يحدث هذا .

« هذا هو خطاب الجنرال .. »



قَالَهَا وناولني الخطاب .. بدا لي الخطاب مكتوبًا بدرجة عالية من الارتباك ..

جلسنا على مقعد تحت أشجار الزيزفون وكانت الشمس تغرب بجلالها خلف أجمة في الأفق ، وقد راح النهر الذي يجري جوار دارنا يعكس لون السماء الأرجواني .

كان خطاب الجنرال عجيبيًا شديد الوطء وفي بعض مواضعه شديد التناقض .. قرأته مرتين وبصوت عال لأبي .. وافترضت أن الحزن أفقد الجنرال صوابه ..

قال الخطاب :

« فقدت طفلي العزيزة التي همت بها حبا .. في الأيام الأخيرة من مرض ( بيرتا ) الحبيبة لم أستطع الكتابة لك .. قبل ذلك لم أدرك مدى الخطر .. لقد فقدتها والآن أدرك بعد فوات الأوان .. لقد ماتت في سلام وبراعة على رجاء القيامة .. الشيطان الذي خان ضيافتي فعل هذا كله .. حسبت أنني أستضيف الحبور والبراعة صديقين لطفلي ..

لكن رباه ! كنت أحمق ! أحمد الله أن طفلي ماتت من دون أن تدرك سبب معاناتها ..

سوف أكرس ما بقي من أيامي لاقتفاء أثر الوحش وتدميره .. قيل إن بوسعي تحقيق غرضي .. في الوقت الحالي لا يوجد بصيص ضوء يهديني ..

لا أستطيع استجماع كلماتي الآن فأنا مشتت .. فلما أن أستعيد قواي حتى أكرس وقتي للتحقيق الذي قد يصل بي إلى ( فيينا ) .. سوف أقابلك بعد شهرين لو أنني ظلت حيا ، ولو أنك سمحت لي .. ولنسوف أخبرك بما لا أجروا على كتابته على الورق الآن ..

وداعا وصل من أجلى يا صديقي العزيز »

بهذه الكلمات انتهت الرسالة الغريبة .. وبرغم أنني لم ألق ( بيرتا راينفلت ) قط فإن عيني امتلأ بالدموع .

كانت الشمس قد غربت وجاء الغسق إذ أعدت خطاب الجنرال لأبي .

كانت أمسية صافية ، وقد مشينا نتناقش حول معنى هذه  
فرسالة الغنية غير المترابطة . وكنا على بعد ميل من الطريق  
الذى يعبر أمام القلعة .. وكان القمر يسطع لامعا . عند الجسر  
المعلق قابلنا مدام ( بيرونون ) ومدموازيل ( دى لا فونتين )  
اللتين خرجتا للاستمتاع بضوء القمر

كانت الفرجة التى عبرناها أمام عيوننا الآن . نرى  
الطريق يمتد إلى جسر جميل قريبه تقف قلعة كانت تحرسه  
فى الماضى .. وخلف القلعة مرتفع تغطيه الأشجار  
ومجموعة من الصخور التى تلتف عليها أغصان اللبلاب .  
بينما طبقة رفيعة من الضباب ترتفع كأنها تغلف البعد  
بغلالة رقيقة ، وكان بوسعنا أن نرى النهر يتألق فى ضوء  
القمر .

ما من منظر أكثر روعة ، لكنه بدا لى مفعما بالشجن  
بعدما سمعت . ووقفت وأبى نرمى المشهد فى صمت ..

كانت مدام ( بيرونون ) بدينة رومانسية فى منتصف العمر  
تتكلم وتتهجد بشاعرية .. أما مدموازيل ( دى لا فونتين )

التي كان أبوها ألمانيا مهتما بالسحر وأسرار ما وراء  
الطبيعة ، فقد قالت إنه عندما يسطع القمر بهذه القوة  
فإن هناك نشاطا روحيا أكيدا .. إنه يؤثر على الأحلام  
وعلى حالتنا العقلية وله أثر ملادى واضح على  
حياتنا ..

قالت لنا إن ابن عمها الذى كان يعمل فى سفينة تجارية  
نام على ظهره ذات ليلة ممثلة على ظهر السفينة ووجهه  
فى ضوء القمر . ثم صحا وقد رأى فى الحلم رجلا عجوزا  
يخدشه فى خده .. فإذا بملامحه تشوهات بفضاعة ولم تستطع  
سحته طبيعتها ثانية

قال أبى :

« إننى أمر بإحدى حالاتى الاكتئابية الليلة .. »

ومرت لحظة صمت راح يردد فيها عبارات من شكسبير  
الذى يحافظ لنا على لغتنا الإنجليزية ، ثم قال :



- « في الحقيقة لا أعرف سر تعاستي .. إنها تضمنيني بحق .. لكن لا أعرف مصدرها .. أشعر كأن تعاسة عظيمة تقترب منا .. لعل لخطاب الجنرال دوراً في هذا »

في هذه اللحظة سمعنا صوت حوافر خيل وعجلات عربية على الطريق ..

وعلى الفور رأينا مصدر الصوت .. في البداية ظهر فارسان وعبرا الجسر ثم عربية تجرها أربعة خيول .. ثم تلاها فرسان ..

بدأ لنا أنها عربية شخص ذي شأن .. وقد رحنا نراقب هذا المشهد غير المألوف في شغف ..

لقد صار المشهد أكثر إثارة لأنه ما أن تجاوزت العربية الجسر المنحدر حتى أصيب أحد الفرسان بالذعر ونقل دعره لمن معه .. وعلى الفور انطلق الراكب يركض بسرعة محمومة عبر الطريق نحونا .. وبسرعة الإعصار ..

وزادت إثارة المشهد تلك الصرخات الأنثوية الطويلة التي انبعثت من نافذة العربية ..

تقدمنا للأمام في فضول ورعب وظل أبي صامتاً بينما عبرنا نحن عن ذعرنا .. لكن توترنا لم يطل .. إذ أن هناك على الطريق الذي مشوا عليه شجرة زيزفون هائلة الحجم ، وعلى الجانب الآخر صليب صخري عملاق .. فما إن رآته الخيول التي صار عدوها مفزعاً حتى انحرفت بحيث صارت العجلات على جذور شجرة الزيزفون .. عرفت ما سيحدث وأغمضت عيني وأدبرت رأسي عاجزة عن رؤية هذا .. في ذات اللحظة سمعت صرخات العريبتين ..

فتح الفضول عيني فرأيت مشهداً مروعاً .. جوادان كانا على الأرض والعربة مقلوبة على جانبها ، وعجلتان من عجلاتها في الهواء .. كان الرجال يزيلون الحطام بينما سيدة تبدو ذات سلطة تقف وقد تعانق كفاها .. ومن حين لآخر ترفع منديلاً إلى عينيها ..

ومن باب العربية رفعوا جسد ميدة صغيرة بدت لي ، وقد خلت من الحياة ..

أبى العزيز كان يقف الآن بالفعل جوار السيدة الأكبر سنًا وقبعته في يده .. كما هو واضح يعرض مساعدته . لم يبد أن السيدة سمعته أو رأت أى شيء سوى الفتاة الصغيرة التى وضعوها على ضفة الخندق .

دنوت فرأيت أن الفتاة مصدومة لكنها بالتأكيد لم تمت .. وقد وضع أبى أنامله على نبضها ، وطمأن السيدة التى قالت إنها أم الفتاة .. إن النبض خافت غير منتظم لكنه محسوس ..

ضمت السيدة يديها ونظرت للسماء كأنها تعبر عن امتنانها . ثم عللت لطابعها الدرامى المسرحى الذى اعتقد أنه طبيعة لدى بعض الناس .

كانت ما يمكن أن تعتبره امرأة جميلة بالنسبة لسنها .. فارعة الطول لكنها ليست نحيلة .. ترتدى المخمل الأسود . شاحبة لها سحنة آمرة ..

سمعتها تقول :

- « أترانى ولدت للبؤس والشقاء ؟ هأنذا فى رحلة حية أو موت .. ومعنى أن أفقد ساعة هو أن أفقد كل شيء لن تستعيد طفلتى صحتها قبل وقت طويل .. لا أجسر على التأخر .. يجب أن أتركها . ما المسافة التى تفصلنا عن أقرب قرية يا سيدى ؟ يجب أن أتركها هناك فلن أر عزيزتى أو حتى أسمع عنها ثلاثة أشهر »

جذبت أبى من معطفه وهمست فى أذنه :

- « أبى . سلها أن تبقى معنا .. سيكون هذا رائعاً . »

قال أبى بصوت عال :

- « لو أن المدام وثقت بأن تترك طفلتها لعناية ابنت ومربيها مدام (بيروودون) .. وسمحت لى بأن أستضيف حتى تعود ، فإن هذا سيكون تفضلاً منها علينا .. وليسوا نغنى بها بكل ما تستحقه الثقة التى وضعتها فينا .. »

قالت المرأة فى شرود :



« هذا ليس بوسعى يا سيدى .. هذا عبء على كرمك وفروسيك »

« بل هو على العكس كرم عظيم يأتينا فى الوقت الذى احتجنا إليه فيه .. لقد أحببت ابنتى بسبب سوء حظ أدى لفشل زيارة كانت تتوقع منها سعادة جمّة .. إن أقرب قرية بعيدة جدًا وليس بها مكان يليق بابنتك .. وليس بوسعى جعلها تسافر أية مسافة دون أن تتعرض للخطر .. »

كان هناك شيء فى تلك المرأة شديد التميز .. شديد الجلال .. تشعرك بأنها شخص ذو حيثة بصرف النظر عن فخمة عربتها

فى هذا الوقت عادت العربية لوضعها وتم ربط الخيول من جديد .

ألقى السيدة نظرة خالية من العاطفة على ابنتها ، تتناقض مع ما يتوقعه المرء من بداية المشهد ، ثم أشارت لأبى إشارة خفيفة وانتحى به بعيداً عن مسمعنا .. حيث وقفت تهمس له بوجه صارم يختلف عن ذلك الذى كانت تتكلم به .

دهشت لأن أبى لم يلحظ التغيير ، كما كنت أرغب بشدة فى معرفة ما يقال فى أذنه بهذه الجدية .

انتهت خلال ثلاث دقائق فمشت بضع خطوات إلى حيث كانت ابنتها راقدّة ، وركعت جوارها لتهمس فى أذنها بضع كلمات كأنها تمنحها البركة وقبلتها على عجل ، ثم صعدت إلى عربتها ..

فرق الحوذيان بسوطيهما فانطلقت الخيول مسرعة يتبع العربية هذان الفارسان فى المؤخرة .

\*\*\*

## الفصل الثالث

### نحن نقارن الذكريات

راقبنا بعيوننا العربية حتى غابت عن بصرنا في الغابات  
التي غمرها الضباب .. وتلاشى صوت الحوافر في الليل  
الصامت .

لم يبق من شيء يؤكد لنا أن المغامرة لم تكن وهما سوى  
الفتاة التي استطاعت أن تجلس وفتحت عينيها ، لم أر وجهها  
لأنه كان ينظر للجهة الأخرى وسمعت صوتاً حذياً يقول :

« أين ماما ؟ »

أجابتها المدام (بيرون) لطيفة وهذلت من روعها . أخيراً  
بدأت الفتاة تفهم وتتذكر ما حدث ، وسرها أن أحداً لم يصب  
بأذى . وإذا عرفت أن أمها رحلت وتركته هنا ، حتى تعود  
بعد ثلاثة أشهر بدأت تهكي .

كنت على وشك التدخل عندما وضعت مدموازيل (دي  
لافونتين) يدها على ذراعي ، وقالت :

« لا تقتربي .. يكفيها شخص واحد في المرة حتى  
لا يصيبها الذعر »

في الوقت ذاته أرسل أبي خادماً على حصان ، ليحضر الطبيب  
الذي يعيش على بعد فرسخين ، وتم إعداد غرفة للسيدة الشابة .  
كانت غرفة المعيشة عندنا غرفة كبيرة ذات أربع نوافذ تطل  
على الخندق والجسر المعطى ومشهد الغيبة الذي وصفته . كانت  
مبطنة بخشب البهوط والمقاعد مغطاة بالقطيفة الحمراء .  
بينما يكسو للجدران نسيج من الكنفه تحيط به إطارات مذهبة  
كبيرة . هنا كنا نتناول الشاي لأن أبي كان يصر على أن  
نتناول مشروبنا الوطني بانتظام مع القهوة والمشروبات  
الأخرى .

هناك جلسنا في تلك الليلة نتكلم عن مغامرة المساء ، وكانت  
الغربية قد دخلت الفراش فغابت في نوم عميق ..  
قالت المدام :

« هذه الفتاة أجمل مخلوقة رأيته في حياتي .. وهي  
في ذات سنك .. وما أجمل صوتها ! »



تساعلت المدموازيل :

« هل رأيتم امرأة في العربية بعد أن أعادوا تقويمها ؟  
امرأة لم تغادر العربية قط بل اكتلت بالنظر من النافذة ؟ »

لا . لم تر امرأة كهذه ..

وصلت لنا امرأة مخيفة تلبس السواد وتضع على رأسها  
ما يشبه العمامة .. لها عينان واسعتان لامعتان لم تكفا عن  
النظر من النافذة ..

« هل لاحظتم شكل الخدم المخيف ؟ »

قال أبى الذى دخل للغرفة :

« نعم .. قبحو الوجه لهم سحنة آثمة .. أرجو ألا يسرقوا  
السيدة البائسة فى الأحراش .. لكنهم بارعون برغم  
هذا .. »

« آمل أن السيدة الصغيرة ستخبرنا بالقصة كلها عندما  
تصحو غداً .. »

« لا أحسبها فاعلة »

قائلها أبى بابتسامة غامضة وهزة رأس ، كأنه يعرف  
أكثر مما يقول .

عندما انفردت به سألتها عما قالت له السيدة عندما  
انتحت به جانباً ، فلم يقتض الأمر الكثير من الضغط عليه ..  
قال أبى :

« كانت مخرجة لأنها ستضايقتا بابنتها ، وقالت إن  
ابنتها هشة حساسة لكنها لا تصاب بنوبات .. وإنها عاقلة  
جداً لا تنوهم أشياء ! »

« ما أغرب هذا الكلام ! لا ضرورة له ! »

« أيا كان رأيك فهذا ما قالت .. وأضافت أن ابنتها لن  
تلفظ حرفاً عن حقيقتهم .. واضح أنها تجيد الفرنسية ..  
أدعو الله ألا أكون قد تسرعت أو ارتكبت عملاً أحمق  
بإستضافتي للفتاة .. »

بالنسبة لي كنت مشتاقة للكلام معها ما إن يسمح لي الطبيب بذلك ..

أنتم يا من تعيشون في المدن ، لا يمكنكم تصور لذة تعرف شخص جديد وسط العزلة التي تحيط بنا .

جاء الطبيب في الواحدة صباحاً لكني كنت عجيذة عن النوم ..

قال لنا أخباراً مطمئنة عن الفتاة ، وقال إنها بحير حال .. لا مشكلة في أن أراها الآن لو أردت .. هكذا طلبت مقابلتها فخرجت لي الخادمة التي كانت ترافقها تخبرني أنها موافقة تماماً ..

كانت ضيفتنا ترقد على فراش في أجمل غرفة في القلعة .. قطع من المخمل ولوحات في كل ركن .. وجوار الفراش شموع .. كانت جالسة وجمالها المذهل يحيط به ثوب نوم حريري موشى بالأزهار .

لكن ما الذي جعلني أدنو من الفراش ثم أخرس ، وأراجع للخلف ؟ سأقول لك ..

لقد رأيت ذات الوجه الذي زارني في الماضي .. ظل ثابتاً في ذاكرتي يلهمني الرعب ،

نفس الوجه الجميل . وعليه دبت الهمم ،

لكن سرعان ما تحول هذا إلى ابتسامة ،  
سك الصمت ، ثم قالت :

« يا للروعة ! منذ اثني عشر  
أحلامي وظل يسكن فيها منذ ذلك الحين »

تقلبت على شعور الرعب ، وقلت :

« ومنذ اثني عشر عاماً رأيت وجهك في رؤيا حسنة »

ازدادت ابتسامتها نعمة . لقد ذهب كل ما حسنته عرساً فيها . عاد لي الاطمئنان ورحبت بها . أدبرني كم أن قنومها قد جلب لنا السعادة ..

أمسكت بيدها وأنا أتكلم .. كنت حولاً كسر الوحدين لكن الموقف جعلني طلقاً اللسان بل جريئة . سمعت عنها ونظرت لي ولحمر وجهها ..



جلست جوارها ، فقالت :

- « يجب أن أخبرك بروايات بصدقك .. من الغريب أن كلاً منا رأت الأخرى بهذا الوضوح .. كنت طفلة في السادسة من عمري وصحوت من نوم متقلب لأجد أنني في غرفة تختلف عن غرفتي .. بها خزانات ثياب وأدراج ومقاعد .. كانت الأسرة خالية ولا أحد في الغرفة سوى .. نظرت حولى فراق لى شمعان حديدى ذو فرعين . وزحفت تحت فراش كى أبلغ النافذة لكن ما إن خرجت من تحته حتى سمعت بكاء .. نظرت لأعلى بينما أنا بعد على ركبتى ، رأيتك أنت .. بالتأكيد أنت .. كما أراك الآن .. فتاة جميلة ذات شعر ذهبى وعينين زرقاوين واسعتين .. رأيتك كما أراك الآن .. قهرنى جمالك فصعدت إلى الفراش لأطوقك بذراعى وأعتقد أننا نمنا على الفور .. فجأة صحوت على صرخة . كنت أنت جالسة تصرخين .. أصابنى الرعب ووثبت إلى الأرض .. ويخيل لى أنني فقدت الوعي ، لكن عندما صحوت من جديد كنت فى غرفة حضانتى ثانية .. لم أنس وجهك منذ ذلك الحين .. »

الآن جاء دورى كى أحكى ذكرياتى ، فراحت الفتاة تصغى لها مندهشة ..

قالت :

- « لا أدري من منا أجدر بالخوف من الأخرى .. لو أنك كنت أقل جمالاً لأصابنى الرعب منك .. لكن والحال كذا فباتنى أشعر أننا تعارفنا منذ اثني عشر عاماً .. كأن قدرنا كان أن نكون صديقتين منذ طفولتنا .. لم أظفر بأصدقاء قط فهل يمكن أن نكون كذلك ؟ »

ونظرت لى عيناها السوداوان فى لهفة .

كنت أشعر بتجذاب نحوها بالفعل . خالط هذا نوع من النفور .. لكن الانجذاب كان هو الأقوى ..

شعرت بأن نوعاً من الوهن والإرهاق يياغتها فقلت لها مساء الخير وأخذت فى الانصراف بسرعة .. وقلت لها :

- « الطبيب يرى أنه من الحكمة أن تجلس خادمة معك الليلة .. سوف تحبين هذه الخادمة فعلاً .. »

.. هـ نطيف مكم لنسى لا أستطيع النوم أبداً عندما  
يذوق هذا شخص في معرفة معنى .. لا أريد عوناً .. لكنى  
برغم هذا احداث مسرعين فعلاً ، فقد سرى بيتنا ذات مرة  
وقل ماداماً .. لدا انك حجرتى على ليلاً . صارت هذه  
عادة .. أعفد انى أرى مفتاحاً فى ثقب الباب .. »

ثم عانقتى وهمست فى أننى :

.. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
لكننا سنلتقى غداً .. »

و .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك

سأتركك بشرى بعدد الحرة التى أظهرتها نحوى ..  
برغم أننى لا أستحقها ..

وجاءت بساء به عزيزتى من رقيق كان جمالها كما رأيته كاملاً ..  
بها جيل من راس فى حاتى وبالتأكيد نسيت تلك الذكرى  
المرعبة ، وبكى أيضاً اعترفت بها عاشت ذكرى مماثلة ،  
لذا ضحك كثيراً ، ونحن يسترجع أوهامنا السابقة .

\*\*\*

## الفصل الرابع

### عاداتها .. ونزلة قصيدة

قلت لكم بنى فتت بها .. لكن بعض .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك

كانت أطول قامة من المتوسط .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
حلوة السمائل ، فيما عدا أن حركتها كانت .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
بطينة جداً .. لا شيء فى مظهره يوحى بـ .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
كانت ملامحها جميلة متناسقة ، وكس شعرها راحات وأرب  
وطويلاً لونه بنى داكن جميل فيه لمسة من .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك

وفى غرفتها كانت تجلس على سطحها و .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
عذب خافت .. رباه ! لو كنت أعرف !

قلت إن هناك أشياء لم ترق لى .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
بصدد نفسها وألمها وأسررتها وكل .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
اعترف لنى كنت أفقر للحكمة .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
السيدة ذات الرداء المخملى التى .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
عاطفة لا تكل ولا تمل ، ما من فدا .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
الفضول .. ما الضرر فى أن تحيرى .. عايد بساء به عزيزتى من الصعب أن أتركك  
لمعرفته ؟ هل هى لا تثق بى ؟



لم لا تثق بي وقد وعدتها أنني لن أفشي حرفاً مما  
تخبرني به لئلا أَرْضَى بِنَفْسٍ ؟

كان لديها برود يتجاوز سنّها ، في ابتسامتها وفي  
رفضها أن تمنحني بصيص نور ..

لا أستطيع القول إننا تشاجرنا بصدد هذا . وكان من سوء  
الخلق أن ألح عليها لئن لم يكن هذا بوسعي . كل ما  
سمحت لي بمعرفته ثلاثة أشياء : اسمها (كارميللا) ..  
أسرتها عريقة نبيلة .. منزلها يقع غرباً ..

لم تخبرني باسم أسرتها ولا شعار نبالتها ولا حتى بلدهم ..

لا تتوقع أنني ضايقتها بأَسْنَلَتِي .. فقط رحت أُلَمِّحُ ومرة  
أو اثنتين سألتها بشكل مباشر .. لكنني كنت أفشل في كل  
الظروف .. لكنها كانت تصاحب امتاعها هذا بنوع من الحزن  
الراقي وإظهار ثقّتها فيّ بحيث لم أكن أتضايق منها .

« لا تتعب نفسك يا حبيبتي ولا تسألي عني .. فقط

ثقي بي .. »

كانت كلماتها ومخاوفها غامضة بالنسبة لي ، وكانت

تعانقتني من حين لآخر فأشعر برغبة غريبة في التحرر منها

لكني لا أجد القوة .. كانت كلماتها تبدو لأذني كأنها أغنية  
مهمل وكانت تجعل مقاومتي شبه نعاس .. لا أفيق منه  
إلا حين تبعد فراعيتها عني ..

ثمة شعور مبهم بالنفور لكنني كنت أدرك أن حبي لها  
يصل لدرجة الهيام ، مع مَقْتٍ شديد .. أعرف أن هذا  
تناقض لكن ليس بوسعي أن أشرح مشاعري بلغة أوضح .

الآن بعد عشر سنوات أكتب هذا ويدي ترتجف إذ أتذكر  
الأحداث التي كنت أمر بها ولا أدرك كنهها .. أشياء كهذه  
أتذكرها بصعوبة برغم وضوح باقي تفاصيل قصتي .. أعتقد  
أن في حياتنا أحداثاً عاطفية صاخبة تصير وسط الذكريات  
الأخرى باهتة شبه منسية .

كانت تمسك بيدي وتقول :

« أنت لي . سوف تكونين لي .. وأنا وأنت سنكون  
واحدًا للأبد .. »

ثم تسقط في مقعدها ويداهما الصغيرتان على عينيها ،  
تاركة إياي أرتجف ..

وكنت أسألها :

« من مشر شريف .. ماذا تقصدين ؟ أنا لا أعرفك ولا أعرف مفسر حبيب .. »  
« هذه الطريقة »

لم أسمع من قبل من يفسر مرضية بصدد هذه اللحظات العزيمية .. لا أدري أبداً من فسر لها بالخداع أو بشدة الحب ..

« من وراء ما سمعت حين نتيجة لإهمال أمها بمحمد بها .. من هذه نعمة من ألعاب التخفى التي قرأت عليها في كتاب قديم ؟ »

« ما من من وراء .. لا سمحاً بحفى فى ثوب فتاة وجاء بيتنا بمساعدة من المعصرة البرعة للمعنة ؟ لكن كانت هناك أشياء كثيرة .. لا سمحاً .. كنت فتاة تماماً تتصرف كفتاة .. وكنت واثقة شابة مع فكرتى عن الرجال .. »

« من وراء .. كانت طامعها عريية .. ليس بالنسبة لسيدة مدسة مثب .. لكنها كانت بالنسبة للريفين من أمثالنا .. كانت تسبح من عزمها من واحد .. ليس قبل الواحدة ظهراً .. ثم تناول السيك لاله السباحة ولا تكلن .. ثم نخرج فى نزهة .. عندها كانت تمشى .. بسرعة وتعود للقلعة أو تجلس على حدائق .. لا تكلن .. لم أر فى حياتى من يقهره التعب بسرعة مثلها .. »

« كان هذا تعباً جسدياً خائفاً لا يعترف به عقلها ، لأنها كانت تتكلم بطلاقة وذكاؤها لا يهن لحظة »

« جلسنا هناك ذات عصر فمرت بنا جنازة .. كانت جنازة فتاة جميلة شابة .. ابنة أحد حراس الغيبة عرفتها .. وكان أبوها للمسكين يمشى وراء تابوت ابنته وقد تحطم قلبه تماماً إذ كانت ابنته الوحيدة .. »

« وقفت كى أظهر احترامى وشاركت فى النشيد الجنائزى الذى بدا لى عذبا ، هت هزتى صاحبتى بنوع من الخشونة فاستدريت لها .. قالت فى جفاء : »

« ألا تسمعين مدى نشاط هذا اللحن ؟ »

« قلت لها : »

« بل اعتقد أنه عذب .. »

« وكنت متضايقة من مقاطعتى .. وخشيت أن يسمعا الناس فى الموكب المار أمامنا .. عدت للغناء فقالت ( كارميلا ) : »

« أنت تثقين أذننى .. ثم كيف تعرفين أن دينسى ودينك متماثلان ؟ إن طقوسكم لا تروق لى وأنا أكره الجنازات .. لماذا ؟ سوف تموتون .. الكل سيموت .. والكل سيكون أكثر سعادة عندما يفعل ذلك ! »



- « تعرفين أنها ستدفن اليوم .. »

- « هي ؟ لا أبالي بالفلاحين .. ولا أعرف من هي .. »

- « هي فتاة باتسة رأت شبحاً منذ أسبوعين .. ومن لحظتها تحتضر حتى ليلة أمس »

- « لا تتكلمى عن الأشباح .. فلن أنام الليل لو فعلت »

- « أتمنى ألا يكون هذا وباء قادمًا .. لقد ماتت زوجة مربى الخنازير منذ أسبوع .. وقد اعتقدت أن شيئاً أمسك بحنجرتها وهي نائمة وكلا يخفقها . يقول بابا إن هذه الرؤى تسبق الأوبئة .. »

- « لحسن الحظ أنها ماتت ولن تؤذى أذانتنا بأناسيدها الجنائزية النشار .. هلمى اجلسى جوارى وامسكى بيدى .. اضغطى . اضغطى أكثر .. »

فجأة مر بوجهها تغيير أثار رعبى للحظة . لقد اربد ثم احمر بشكل مروع .. وقطبت وزمت شفتيها .. ثم راحت ترتجف كأنها مصابة بالمalaria .. بدا كأن كل طاقاتها حشدت لمقاومة نوبة ، وسمعت صرخة بعيدة من شفتيها .. وفى النهاية بدا أنها تهدأ وأن نوبة الهستيريا زالت .

ثم قالت :

- « هذه هي نتيجة خلق البشر بأغان جنائزية ! »

كانت هذه أول مرة أرى فيها علامات الوهن التى تكلمت عنها أمها .. أول مرة أراها تتصرف بهذه الطريقة .

\*\*\*

ذات مرة كنا نقف فى النافذة الموجودة بغرفة المعيشة عندما رأيت فى فناننا متمسكاً أعرفه جيداً .. كان يزور القلعة مرتين فى العام . كان أحذب له ملاح معينة تصاحب هذا التشوه .. وكان يرتدى قبعة مديبة ويضحك ضحكة عريضة تظهر نابيه .. ومن خلفه كان يجرفاتوسنا سحريراً وصندوقين ، أعرف أن فى أحدهما سلامندر (\*) والآخر به وحش ملفق صنعه من قطع من القرود والبيغاوات وخطها بعناية .. ومن حزامه تتدلى أشياء كثيرة يستعملها فى عروض الحواة .. وإلى جواره كلبه .

توقف المشعوذ عند منتصف الجسر ونزع قبعة وقحنى لنا فى احترام قائلاً شيئاً بالفرنسية .. ثم أخرج كماناً وراح يعزف فى نشاط وحيوية حتى جعلنى أنفجر ضحكاً برغم نباح الكلب ..

(\*) نوع من الضفادع ..

دنا من نافذتنا ، وبدأ يعرض علينا بضاعته السحرية من تعاويذ لصد الشرور عنا .. فاشتريت (كارميلا) تعاويذ وكذا فعلت أنا ..

كان ينظر لنا . لحظة شعرت أن عينه السوداء تحملي فينا بتدقيق كأن هناك شيئاً أثار فضوله .. ثم مد يده يفتح حقيبة جلدية مليئة بفرائب الأدوات المعدنية ..

« فليأخذ الله هذا الكلب ! » ثم وجه الكلام لى أنا لجيد يا سيدتى ضمن أشياء كثيرة فن علاج الأسنان .. إن ضيفتك للكريمة كما لرى لها أثياب طويلة حلالة .. حلالة كالإبرة .. بتظرتى الشاقبة لرى هذا . ها ها " فإن كن يؤذى السيدة الصغيرة كما اعتقد فهانذا .. بمبردى وكلايتى . لأجعله غير منيب ثلما .. هذا لو سمحت لى .. هل تحرات ؟ هل تجاوزت حدودى ؟ »

بالفعل بدا أن السيدة الصغيرة غاضبة جداً وهى تنسحب من النافذة .

قالت فى حنى :

« كيف يجرو هذا المشعوذ على إهاتتى ؟ أين أبوك ليأخذ بحقى ؟ لو كان أبى هنا لربط هذا النصاب إلى شجرة وأمر بجلده ، ثم وسمه بشعار القلعة ! »

ثم بدأت تهدأ فجأة ..

عندما عاد أبى فى المساء كانت مغنويته منخفضة .. أخبرنا أن هناك حالة وفاة أخرى كسبقتها .. لقد مرضت أخت فلاح فى إقطاعيته ومن الواضح أنها قد قاربت النهاية .

قال أبى :

« كل هذه الوفيات أسبابها طبيعية .. هؤلاء البؤساء ينقلون عدوى الخرافات لبعضهم من ثم يتخيل كل منهم ذات صور الرعب التى رآها جيرانه .. على كل حال نحن بين أيادى الله وما من شيء مكروه يمكن أن يصيبنا إلا ما كتب لنا .. إنه خلقنا وهو يرعانا .. »

قالت صديقتى الشابة :

« خلق ؟ هذا المرض الذى يهاجم الفلاحين طبيعى .. الطبيعة ! كل شيء يأتى منها .. كل ما فى الأرض والسماء يعمل ويوجد حسب قوانين الطبيعة .. أليس كذلك ؟ »

قال أبى من دون أن يرد عليها :

« سوف يأتى الطبيب اليوم .. أريد أن أعرف ما يفكر فيه .. »



قالت (كارميللا) :

- « الأطباء لم يفيدوني قط »

- « هل كنت مريضة ؟ »

- « مريضة جدًا .. أكثر مما تتصور . أصبت بذات الداء  
لكنني نسيت كل شيء ما عدا الألم والوهن . »

وطوقت خصرى وغادرنا الغرفة بينما اتهمك أبى فى دراسة  
بعض الأوراق على المكتب .

جاء الطبيب فى ساعة متأخرة واجتمع مع أبى بعض  
الوقت . كن رجلاً بارعاً فى الستين يحلق وجهه ليصير ناعماً  
كالبقطينة .. وعندما غادرا كان السرور بادياً على أبى ..

قال الطبيب :

- « على كل حال لا تنس أن الحياة والموت أمران غامضان  
لا نعرف عنهما شيئاً »

واتصرفنا .. ثم أعرف وقتها ما يعنيه الطبيب .. لكن  
أحسبني فهمت الآن ..

\*\*\*

## الفصل الخامس

### تشابه مذهش

فى تلك الليلة وصل من (جراتس) ابن منظم الصور  
وهو يركب عربة يجرها حصان ، عليها صناديق امتلأت  
بالصور .. عندما يصل زائر من (جراتس) كنا نلتف حوله  
لنسمع آخر الأخبار .

كانت الخاديمات يستقبلنه أولاً ويسمعن منه الأخبار وهو  
يلتهم العشاء ، ثم نقابله نحن وهو فى الممر مسلحاً  
بالمطرقة والإزميل ليعلق الصور .. بينما أبى يمسك بقائمة  
بها أرقام الصور التى أخذها الرجل لينطفئها .

كانت (كارميللا) جالسة ترقب المشهد فى فتور .. بينما  
راحت الصور التى أرسلناها له لتجديدها تعلق واحدة تلو  
أخرى . إن أمى نمساوية من أصل مجرى وكانت أكثر  
الصور فى دارنا تخصصها .. لا اعتقد أن الصور كانت جميلة  
لكنها بالتأكيد كانت قديمة جداً . بعضها كنت أراه لأول مرة  
بعد التجديد لأن الدخان والغبار كان يحجبها ..

قال أبى :

- « ثمة صورة لم أجدها بعد .. على ركنها تجد اسمها ..  
( مارشا كارنشتاين ) .. بتاريخ ١٦٩٨ .. »

تذكرت الصورة .. كفت صورة صغيرة شبه مربعة بلا إطار ..  
لكنها كانت مغطاة بالسواد بحيث لا تميز شيئاً منها ..

أخرجها منظف اللوحات فى نوع من الفخر وعرضها  
علينا .. كانت مذهلة .. كانت الجمال بعينه ! كانت نسخة  
أخرى من (كارميللا) !

صحت فى دهشة :

- « (كارميللا) يا عزيزتى ! إنها لمعجزة ! هانت ذى حبة  
فى هذه الصورة .. أليست جميلة يا بابا ؟ حتى تلك الوحمة  
فوق حنجرتها ! »

ضحك أبى ، وقال :

- « بالفعل هو تضايبه مدهش .. »

- « هلا سمحت لى بتعليقها فى غرفتى يا بابا ؟ »

- « بالطبع يا عزيزتى .. »

لم يبد على (كارميللا) أى تقدير لهذه المحادثة .. وبدأ  
كأنها لم تسمعها .. كانت مسترخية فى مقعدها تنظر لى فى  
تأمل .. وابتسمت فى نوع من الانتشاء .

أعدت قراءة الاسم :

- « ليس (مارشا) .. إنه (ميركالا) كونتيسة (كارنشتاين) ..  
إن أمى من نسل (كارنشتاين) .. أى إننى أنتمى لهم »

قالت الفتاة :

- « آه .. وأنا منهم .. لكنه نسب قديم جداً .. هل مازال  
هناك أحياء بينهم ؟ »

- « لا أحد .. لقد هنت الأسرة فى الحروب الأهلية على قدر  
علمى .. لكن خراب قلعهم على بعد ثلاثة أميال من هنا »

قالت فى تراخ :

- « رائع ! لكن انظرى إلى ضوء القمر ! كم هو جميل !  
ما رأيك فى أن نقوم بجولة لتشاهد الطريق والنهر ؟ »

- « إنها مثل الليلة التى جئنا فيها »

نهضت وخرجنا معاً .. وفى صمت مشينا عبر الجسر ..

- « إذن تذكرين ليلة مجيئى .. هل أنت سعيدة بذلك ؟ »

قالت لها بصوت كانهمس .. فقلت :

- « مسرورة جداً يا عزيزتى .. »

- « وقد طلبت أن تعطى الصورة فى غرفتك لأنها تشبهنى ؟ »

وأراحت رأسها على كتفى فقلت لها :

- « أنت رومانسية جداً يا (كارميلا) .. لو حكيت لى

قصتك التى تحفيناها لوجدنا أنها مليئة بالرومانسية .. لا بد أن هناك قصة حب كبيرة فى حياتك .. »

- « لم أحب أحداً قط .. لو أحببت لاخترتك أنت ! إننى

أعيش فىك . وسوف تموتين من أجلى . فانا أحبك ! »

تراجعت عنها فى رعب ..

كانت تنظر لى بوجه خلا من كل تعبير وكل لون ..

- « هل أنت بخير يا (كارميلا) ؟ يبدو لى أنك موشكة

على فقدان الوعي .. »

- « نعم .. أنا كذلك .. سوف أستعيد صحتى بعد قليل .

فقط دعينا نهد .. »

وعلى الباب قالت :

- « دعينا نلق نظرة أخيرة . إنها المرة الأخيرة على

الأرجح التى أرى فيها ضوء القمر معك »

بدأ الرعب ينتابنى من أن تكون أصيبت بذلك الوباء الغامض

الذى يفرق البلاد من حولنا . لكنها طمأننتى أنها بخير . ومرت

الليلة من دون أن تصيبها نوبات الافتتان تلك التى تصيبنى

بالرعب ..

لكن حدث فى تلك الليلة شىء جعل أفكارى تتخذ منحى

جديداً .. ويبدو أن هذا الشىء جعل خمولها الملحوظ يتحول

لنوع من النشاط العاير ..

\*\*\*



الجيرة ، وإبنى لأشعر بمسئولية خطيرة خاصة مع افتقاري  
لنصائح أمك . لكنى لن أسمح برحيلك من دون توجيهه  
مباشر منها .. »

أجابت وهي تهتسم فى حياء :

ـ « شكراً لك ألف مرة يا سيدى على كرم ضيافتك .. لم  
أشعر قط بالسعادة كما شعرت بها فى قصرِكَ الجميل .. فى  
رفقة ابنتك العزيزة »

ثم إنه نهض وبطريقته القديمة الفخمة لثم يدها .

رافقت (كارميلا) كعادتى لغرفتها ، وجلست أثرثر معها  
قبل أن تدخل الفراش ، ثم تركتها .

\*\*\*

أتساءل إن كانت ضيفتنا الجميلة لا تصلى أبداً .. لم أرها  
راكعة قط وفى الصباح لم تكن تنزل حتى تنتهى صلوات  
لسررتنا .. ولم تحضر قط صلاة المساء معنا . لم أسمعها قط  
تتكلم فى أى شيء دينى .. لو كنت أعرف العالم أكثر لما  
أثار دهشتى هذا اللجاهل .

## الفصل السادس

### وعب غريب

عندما اجتمعنا فى غرفة المعيشة ، رحنا نحتسى القهوة  
والشيكولاته مع المربيتين لكن (كارميلا) لم تشارك .. ثم رحنا  
نلعب الورق .. وجاء أبى ليظفر بما يسميه (طبق الشاي) .

انتهت اللعبة فجلس أبى جوار كارميلا على الأريكة  
وسألها عما إذا كانت سمعت أخباراً عن أمها منذ وصولها .

ـ « لا .. »

سألها عن عنوان مناسب للمراسلة .. فأجابت فى غموض :

ـ « لا أستطيع أن أجيب .. لكننى كنت أفكر فى الرحيل ..  
أنتم ودودون جداً مضيافون وقد سببت لكم متاعب جمّة ..  
أعتقد أن بوسعى أن آخذ عربة وأبحث عنها غذا فأنا  
أعرف أين يمكن أن تكون لكن ليس بوسعى أن أخبركم »

ـ « لا يجب أن تفكرى فى شيء كهذا .. لن أسمح برحيلك  
إلا تحت رعاية أمك التى تكرمت بالموافقة على تركك هنا حتى  
تعود .. لكن هذه الليلة يتزايد ذلك الوباء الغريب الذى يغزو

إن طباع الناس العصبيين معوية ؛ لذا اكتسبت من كارميلا عادة إغلاق غرفة النوم على ليلاً . وتعلمت منها البحث السريع في حجرتي كي أتأكد من عدم وجود سفاح مختبئ .

هكذا كنت أخلد للنوم مع ضوء في غرفتي .. تلك عادة يصعب أن أتخلص منها . هكذا بوسعي أن أنال راحتي في سلام .. لكن الكوابيس تخترق الجدران الصخرية ، وتسخر من الأقفال .

رأيت حلماً مخيفاً في تلك الليلة . لا أستطيع أن اعتبره كابوساً لأنني كنت مدركة أنني في غرفتي وفي فراشي .. كنت أرى شيئاً أسود يتحرك عند قدمي في الفراش . لم أتبين كنهه أولاً ثم أدركت أنه يبدو كقطعة سوداء عملاقة .. كانت تروح وتجيء بذلك القلق الشرير الذي يميز الوحوش الحبسية في قفص .. لم أستطع الصراخ لكنني كنت مذعورة طبعاً ..

كان يدنو مني أكثر فأكثر .. حتى لم أعد أرى إلا عينيه .. ثم صعد إلى الفراش وعيناه قرب وجهي ، ثم شعرت بأنني إذ اخترق نابه المعتباعدان بوصمة صدرى ..

صحوت صارخة لأجد أن الشمعة تضيء الغرفة .. رأيت خيال أنني تقف عند قدم السرير .. كانت في ثوب أسود

واسع وشعرها يغطي كفيها .. ما كانت الصخرة لتقف بثبات أكثر .. لم تبد منها أية علامة على التنفس ..

وفجأة بدا أنها تقترب من الباب .. الباب يتفتح وهي تعبر منه ..

استعدت قدرتي على التفكير ، فكان أول ما خطر لي أن كارميلا كانت تلعب حيلة معي .. جريت للباب ففوجئت به موصداً كما هو من الداخل ..

خفت أن أفتحه وأصابني الرعب ..

دخلت فراشي وتدفرت بأعظيتي حتى الصباح ..

\*\*\*

## الفصل السابع

### الانحدار

لا جدوى من محاولة أن أشرح مدى الرعب الذى أذكر به تلك الليلة حتى اليوم . لم يكن رعباً لحظياً كالأذى تخلفه الكوابيس إنما هو رعب ينمو مع الزمن ، وبدأ كلما يتصل بالغرفة التى شهدت ذلك الظهور الشبحى .

لم أستطع فى اليوم التالى أن أتحمل لحظة وحدة ، لكنى لم أخبر بها .. لكتفيت بأن أخبر المربيتين بما يثقل على روحى ضحكت المدموازيل لكن أعتقد أن مدام (بيرون) شعرت بقلق .

قالت المدموازيل :

« بالمناسبة .. إن ممر شجر الزيزفون وراء نافذة غرفة

كارميلا مسكون ! »

قالت المدام :

« كلام فارغ ! من قال هذا ؟ »

« (مارتين) قال إنه جاء مرتين عند بوابة الفناء قبل الشروق ، فرأى نفس الشبح الأثوى يمشى فى طريق أشجار الزيزفون .. كان خائفاً جداً وهو يحكى لى .. لم أر فى حياتى أحق خائفاً مثله .. »

قلت :

« لا تقولى هذا لكارميلا .. فهى ترى هذا العمر من نافقتها وهى أكثر منى جبناً »

جاءت (كارميلا) متأخرة نوعاً هذا اليوم . كانت تحكى عن كابوس داهمها ليلاً إذ رأت شيئاً أسود كالنمر الكبير فى غرفة نومها ، وأنه انقض عليها لكنها أمسكت بتلك التعويذة التى اشتريتها من الأحديب ووضعتها تحت الوسادة ، فاختفى ذلك الشيء .

كنت قد تركت تعويذتى فى مزهرية فى غرفة المعيشة ..

اليوم لا أذكر بالضبط كيف استجمعت شجاعتى لأنام فى غرفتى ثانية وحدى .. لكنى قمت بتثبيت التعويذة على وسائتى ونمت كما لم أنم من قبل ..



مرت الليلة التالية على خير كذلك .. كان نومى عميقاً  
بلا أحلام .. لكنى صحت شاعرة بأسى وشجن وإن لم يكن  
هذا شعوراً سيقاً ..

حكيت لكارميللا القصة فقلت فيها لم تر كوابيس هي الأخرى ..

- « ما سبب هذا فى اعتقادك ؟ مم صنعت هذه التعريضة ؟ »

- « لابد أنها غمست فى عقار معين يعمل ترياقاً للبرداء  
( الملاريا ) .. » (\*)

- « أى أنه يؤثر على الجسد فقط ؟ »

- « طبعا .. لا يمكن أن تخاف الشياطين من قطعة جلد  
لها راحة الصيدليات . لا يوجد سحر فى الموضوع . كل  
شيء يمكن تفسيره بأسباب طبيعية »

هكذا تعددت تلك الليالى التى أنام فيها جيداً ثم أصبح  
بشعور شجن غريب بدأت فكرة الغوص لأسفل تستحوذ  
على وبدأت أشعر بأننى أموت .. وقبلت هذه الفكرة ببطء  
شديد .. حتى لو كانت حزينة فقد شعرت روحى بعذوبتها ..

(\*) فى ذلك الزمن كانت أية حمى تعتبر ملاريا . بل كس أى مرض  
يعتبر ملاريا . وبالطبع افترضت الفتاة أن الكوابيس التى تراها ناجمة  
عن هذا المرض ..

ظلت كارميللا لطيفة معى ، وإن ازدادت لحظات توددها  
الغريبة نحوى ..

لا أعرف كيف حدث هذا ، لكنى كنت تحت وطأة أغرب  
مرض كتب لشخص فإن أن يراه .. كنت مفتونة به حتى بدأ  
نوع من الرعب يخالطه .. كان هذا الشعور يزداد عمقاً حتى  
صبغ كل حياتى ..

بدأت النقطة التى عندها رحت أهبط فى فوهة ( أفرنوس  
Averno ) (\*) .. وبدأت أحلام غامضة تزورنى لا أذكر منها  
إلا القليل ..

لقد مرت ثلاثة أسابيع على بداية هذا التدهور ، وقد صار  
منظرى الآن ينبئ عن معاناتى ..

صار عيائى واسعتين محاطتين بالسواد .. وشجبت جداً ..

راح أبى يسألنى عما إذا كنت بخير فكنت أصر بعناد على  
أننى كذلك . وبشكل ما كان هذا صحيحاً فقد كان بدنى  
مليماً . فقط تلك الأوهام التى أحفظ بها لنفسى ..

(\*) فوهة فى اليونان كنيية الشكل ، لذا اعتبرها الإغريق مدخل العالم  
المسمى .. المراد هنا أنها موشكة على الموت ..

لا اعتقد أنه ذلك الداء الذى أطلق عليه الفلاحون هنا اسم (أوبير oupire) لأننى مريضة منذ ثلاثة أسابيع بينما الداء لا يترك ضحيته حية أكثر من ثلاث ليال .  
سأحكى لك الآن حلمًا قادمي لكشف غريب .

ذات ليلة سمعت فى الظلام صوتًا ناعمًا وبرغم هذا كان شنيعًا يقول لى : « أمك تحذرك من السفاح .. »

وفى هذه اللحظة اضيئت الغرفة بشكل ما ، ورأيت كارميللا فى ثوب نومها الأبيض ، وقد اغتسلت من قعة رأسها حتى أخمض قدميها فى الدم !

نهضت صارخة وقد حسبتها قتلت ، وكل ما أذكره بعد هذا هو وقفنى فى الردهة أصرخ .

هرعت المربيتان لى من غرفتيهما ، وأضاءتا مصباحًا فلما رأيتا مظهرى فهمتا ..

أصررت على قَرع باب كارميللا .. رحنا نددق الباب وننادى بلا جدوى ..

لزداد رعبى ، لأن الباب موصد من الداخل . عدنا لغرفتى ورحنا نددق الجرس .. ما كان لى ليسمع هذا الصوت لأن غرفته

بعيدة .. وما كنت واحدة منا تجسر على قطع الممرات الرهيبة الواصلة إلى غرفته ..

جاء الخدم وكنت قد ارتديت روبًا وخفًا فواصلتنا نداء (كارميللا) بلا جدوى ..

طلبت من الرجال اغتصاب القفل .. ففعلوا ذلك بينما رفعنا أضواءنا عالية على الباب ..

انفتح الباب فرأينا الغرفة بوضوح .. لم تكن هناك إجابة . كل شيء كان مرتبًا كما تركتها عندما ودعتها مساء .. لكن (كارميللا) قد اختفت ..

\*\*\*

## الفصل الثامن

### البحث

بدأت نهدأ نوعاً عندما وجدنا أن الغرفة غير مقلوبة ..  
وخطر للمدموازيل أن كارميلا صحت خاتفة على صوت الدققت  
على الباب فتوارت تحت الفراش أو خلف ستار . بالطبع لن  
تخرج ما لم ينصرف كبير الخدم ورجاله ..

رحنا نناديهما من جديد وقد ازداد رعبنا . توصلت لكارميلا إن  
كانت تلعب لعبة سخيفة أن تقطعها لأن رعبنا شديد ..

الآن كنت مقتنعة أنها ليست في الغرفة .. هذا غريب ؟ هل  
تراها اكتشفت ممراً سرياً من تلك الممرات التي قيل إنها تملأ  
القلعة ؟ .. إن كان الأمر كذا فلسوف يتضح سريعاً ..

كانت الرابعة صباحاً ففضلت أن أمضي بقية الليل في غرفة  
المدام ..

كان القلق عاماً في اليوم التالي وتم تفتيش كل ركن في  
القلعة .. حتى بدأ أبي يفكر في نزح البحيرة .. وراح يفكر  
قللاً فيما يقول للأُم المسكينة لدى عودتها ..

في الساعة الواحدة صعدت لغرفة كارميلا ، فلصقني للدهول  
لأنها كتبت هناك تجلس إلى متضدة للتزيين ! لم أصدق عيني !  
كان الرعب على وجهها وأشرت لي في صمت كي أقرب ..

جريت نحوها في سرور وعانقتها وقبلتها ، ودققت الجرس  
منادية أبي ..

- « أين كنت أيتها العزيزة ؟ لقد هَلَّلْنَا القلق عليك »

قالت :

- « ليلة البارحة كانت ليلة العجائب »

- « اشرحي لي »

- « في الساعة صباحاً كنت نائمة وراء الباب الموصد ..  
لم أحلم ولم يفتني شيء .. لكنني صحت الآن لأجد نفسي على  
الأريكة . وجدت باب غرفتي محطماً . كيف حدث هذا دون  
أن أستيقظ ؟ لابد أن الضوضاء كانت عالية .. كيف لم  
أصح أنا التي يوقظني للنسيم ذاته ! »

هنا دخل أبي والخدم الغرفة ، وغرقت كارميلا في بحر  
من الأسئلة والتهاوى .. لم يكن لديها أي تفسير لاحتفائها ،  
وما قالتها كان أقل تفسير معقول ..



راح أبى يذرع الغرفة مفكراً قرأيت كارميلا تحلجه بنظرة طويلة سوداء ..

اقتادها إلى الأريكة وجلس جوارها ، وقال :

« هلا سمحت لى يا عزيزتى بأن أسألك سؤالاً ؟ »

قالت :

« ومن لديه الحق أكثر منك ؟ سئل ما تريد . لكن قصتى هى الحيرة والظلام .. لا أعرف أى شيء آخر . سئل ما تريد لكن تذكر الحدود التى وضعتها ماما .. »

« بالطبع يا طفلى العزيزة . لا أريد التطرق للمواضيع التى ترغب أمك ألا تطرقها . إن أعجب ما حدث ليلة أمس هو أنك انتزعت من فراشك وغرفتك دون أن تستيقظى . وهذا حدث والنوافذ موصدة والأبواب مغلقة من الداخل .. سوف أخبرك بنظرتى لكن لابد من سؤال أولاً .. »

خففت كارميلا رأسها فى عريضة خائفة ، بينما حبست أنفاسى أنا والمربية ..

« سؤالى هو : هل قيل لك أنك تمشين فى نومك يوماً

ما ؟ »

« منذ كنت طفلة لم يحدث هذا .. »

« لكنك مشيت فى طفولتك ؟ »

« نعم .. مربية عجوز أخبرتنى بهذا .. »

ابتسم أبى :

« حسن هذا ما جرى . نهضت فى نومك ومشيت وفتحت الباب وأخذت المفتاح معك . ومشيت إلى واحدة من الحجرات الخمس والعشرين فى هذا الطابق . على كل حال هناك الكثير من الحجرات وخزانات الثياب وكثير من قطع الأثاث الثقيلة .. تفتيش هذا القصر يقتضى أسبوعاً كاملاً .. هل فهمت ما أريد قوله ؟ »

أجابت :

« فهمت .. لكن ليس كل شيء .. »

سألته :

« لكن كيف تفسر يا بابا أن نجدها على الأريكة فى غرفة النوم التى فتشناها بغاية ؟ »

« جاءت بها بعدما فتشناها وكنت بعد نائمة .. فى النهاية استيقظت تلقائياً ودهشت لما حدث لها أكثر من أى شخص آخر .. أتمنى لو كان تفسير كل الأنغاز بهذا الوضوح والنقاء مثل لغزك يا (كارميللا) . »

ثم ضحك وأردف :

« يجب أن نكون سعداء لأن التفسير لا يشمل التخدير أو الفحام الأبواب أو اللصوص أو الساحرات .. لا شيء يخيف يا كارميللا .. لن نلقى على سلامتينا »

كانت كارميللا فى ذروة حسناتها .. لم يكن شيء أكثر جمالاً منها فى تلك اللحظة .. وهنأ زادها جمالاً .. وأعتقد أن أبى كان يقارن فى ذهنه سرّاً بين جمالها وجمالى .. على كل حال انتهت المحنة وعادت السعادة لنا ..

\*\*\*

## الفصل التاسع

### الطبيب

لما كنت كارميللا ترفض وجود خادمة معها فى الغرفة ، رتب أبى أن ينلم خادم خارج بابها حتى لا تحاول مرة أخرى أن تجول من دون أن يقبض عليها على باب غرفتها .

مرت الليلة هادئة ، وفى الصباح جاء الطبيب ليرائى ، ولم يكن أبى قد أخبرنى بهذا ..

اصطحبتنى لمدام إلى المكتبة وهناك كان الطبيب صغير الحجم بشعره الأبيض وعوينقه - والذي تكلمت عنه من قبل - ينتظرنى .

حكيت له قصتى فبدت الخطورة والجدية على ملامحه .. كنا واقفين فى إحدى النوافذ يولجه لحدنا الآخر .. حينما انتهيت لأراح كتفيه على الجدار وثبت عينيه على باهتمام فيه لمسة رعب ..

بعد دقيقة تفكير طلب من المربية أن تقوده ليرى أبى .

جاء أبى على الفور ، وقال باسمًا :

« أتوقع أن تقول لى يا دكتور إتنى أحمق عجوز لأننى جانبك هنا .. أتمنى هذا »

لكن ابتسامته تبخرت إذ لوماً له الطبيب بوجه لا هزل فيه .  
انفرد بالطبيب وتكلما بعض الوقت .. بدا لى أنه موضوع  
جاد مثير للجدل ..

كانت الغرفة واسعة وقد وقفت أنا والمدام بعيداً نحترق من  
الفضول .. لم نميز كلمة واحدة لأن الصوت كان خفيضاً ..  
بعد دقيقة نظر أبى للغرفة . كان شاحباً غارقاً فى  
التفكير .. واعتقد أنه كان مذعوراً .  
قال لى :

- « لورا يا عزيزتى . تعالى هنا .. مدام .. نحن لن  
نزعجك فى الفترة التالية »  
دنوت منهما خائفة .. كنت واهنة لكنى بالتأكيد لم أشعر  
أنى مريضة ..

قال أبى وهو ينظر للطبيب :

- « هذا غريب فعلاً .. ( لورا ) .. تعالى هنا يا عزيزتى  
وكلمى د . ( سبيلبرج ) .. واستعدي ذكرياتك .. قلت إن  
هناك إبرتين اخترقتا جلدك قرب العنق فى الليلة التى زارك  
فيها أول كابوس .. هل هناك ندوب باقية ؟ »

أجبت :

- « بتأتا .. »

- « هلا أشرت لنا إلى مكان دخول الإبرتين ؟ »

أجبت :

- « تحت حلقى بقليل .. هنا »

قال الطبيب :

- « لن تمنعنى فى أن يكشف لنا بابا هذا الثوب لثرى  
موضع الإصابة »

أنزل بابا الثوب بوصتين تحت عنقى ثم صاح :

- « فليباركنى الرب ! إن الأمر كذلك فعلاً ! »

قال الطبيب فى لهجة انتصار كنيب :

- « تراه بعينيك الآن ! »

بدأ الذعر يتقلبنى :

- « عم تتكلمان ؟ »



- « لا شيء يا عزيزتى ماعدا بقعة زرقاء فى حجم طرف إصبعك .. والآن .. »

ثم استدار لأبى يسأله :

- « السؤال المهم هو : ماذا علينا عمله ؟ »

ثم نادى المدام وقال لها :

- « أرى أن صديقتى الصغيرة أبعد ما تكون عن الصحة .. لن يسبب هذا خطراً لكن لا بد من اتباع خطط معينة سوف أشرحها لك .. وفى الوقت ذاته لا تسمحى (لمس) لورا بأن تكون وحيدة لحظة واحدة .. هذا هو أهم توجيه لك .. »  
وعدته المدام فى حماسة ولهفة .

هنا سأله أبى :

- « يجب أن أعرف رأيك بصدد مريضة أخرى تشبه أعراضها أعراض ابنتى بشكل أخف بكثير ، لكنها ذات النوع .. إنها تلك الشابة ضيفتنا .. لكنك تقول إنك ستعمر من هنا مساء فمن الأفضل أن تتناول عشاءك معنا .. ولسوف تراها فهى لا تصحو من النوم إلا عصرًا .. »

قال الطبيب :

- « شكراً .. سأتى هنا فى الساعة مساء .. »

هكذا غادر أبى مع الطبيب ، ورأيتهما يمشيان فى الطريق وعبر الخندق .. ومن الواضح أنهما غارقان فى محادثة مهمة جداً ..

لم يعد الطبيب . رأيتَه يمتطى حصانته راحلاً غرباً نحو الغابة ..

فى الوقت ذاته رأيت ساعى البريد القادم من (درينفلد) ينزل حمولته ويناول أبى الخطابات .

كنت منهمكة مع المدام نحاول تخمين ما لمَح له أبى والطبيب ..

كما حكى لى المدام فيما بعد ، فإنها شعرت كأن الطبيب كان يخشى أن أصاب بنوبة مفاجئة .. ولو لم يكن هناك من يراقبنى فلربما هلكت أو أذيت نفسى بشدة .

لم يدهشنى هذا وتصورت رحمة بأعصابى أن المقصود من هذا منعنى من إرهق نفسى بالرياضة أو التهام فلكهة غير ناضجة لو عمل أى من الخمسين شيئاً لتى يفترض ألا يعملها الشباب .

بعد نصف ساعة جاء أبى وهو يمسك بخطاب وقال :

- « هذا الخطاب تأخر .. به من جنرال (شبيلىزورف) ..  
كان المفترض أن يكون هنا أمس لكنه قد يصل اليوم أو غدا ..  
وضع الخطاب فى يدي ، لكنه لم يبد مسروراً كعادته عندما  
يأتى ضيف يحبه بشدة مثل الجنرال . بالعكس بدا كأنه يتمنى  
أن يفرق الرجل فى البحر الأحمر . اعتقد أن شيئاً كان فى  
ذهنه لا يريد أن يفصح عنه ..

وضعت يدي على يده ونظرت فى عينيه وقلت :

- « بابا .. هلا شرحت لى ؟ »

( ملس ) على شعري وقال :

.. « ربما .. »

.. « هل الطبيب يعتقد أنى مريضة جداً ؟ »

- « كلا .. يعتقد أنه لو اتخذنا خطوات صحيحة فلسوف

تستعدين صحتك .. خلال يوم أو اثنين »

ثم أردف بجفاف :

- « تمنيت لو أن صديقاً لطيب الجنرال اختار وقتاً آخر ..  
كنت أتمنى أن تكونى بخير عندما تستقبلينه »

- « ماذا يقول الطبيب عنى بالضبط ؟ »

- « لا شيء . عليك ألا ترهقنى بالأسئلة .. »

قالها فى ضيق لم أره عليه فى حياتى . فلما رأى أننى  
جرحت ، قبلنى وأضاف :

- « سوف تعرفين كل شيء خلال يومين .. هذا كل شيء ..

فى الان ذاته لا ترهقنى نفسك بالأسئلة »

وغادر الغرفة . لكنه عاد قبل أن أغرق فى الحيرة حول معنى  
هذا كله .. لقد عاد ليخبرنى أنه ذاهب إلى قلعة (كارنشتاين)  
وأنه طلب أن يعدوا العربدة للرحيل فى الثانية عشرة ..

على أنا والمدام أن نرافقه . يريد أن يقابل القس للمسنول  
فى هذه المنطقة الجميلة .. عندما تصحو كرميلا سوف تتبها  
مع المدموازيل ومعهما ما يصلح لنزهة خلوية .. حيث  
نتناول طعامنا فى خرائب القلعة .

فى الثانية عشرة كنت مستعدة .. فما أن انطلقتنا فى رحلتنا حتى اتحرفنا يمينا لنقطع الجسر القوطى .. ثم غربنا حتى نبلغ القرية المهجورة وأطلال قلعة ( كارنشتاين )

لم يكن هناك أجمل من هذا المنظر . لكن تعرجات الطريق كثيرا ما تخرجك عن مسارك ، فيلتف حول منخفضات ومناظر شتى رائعة الجمال ..

فى نقطة من تلك النقاط فوجئنا بصديقنا القديم الجنرال .. كان قادمًا نحونا على صهوة جواد ، وكانت حقائب سفره تتبعه فى عربة مستأجرة ..

ترجل الجنرال وتبادلنا التحيات ، وبعد إقناع بسيط قبل أن يأخذ المقعد الخالى فى عربتنا .. وعاد حصاته مع خادمه إلى القلعة .

\*\*\*

## الفصل العاشر

### محروم

لم تكن قد رأيتاه منذ عشرة أشهر لكن هذه الفترة غيرت شكله كأنها أعوام .. نحل كثيرا وبدا أن الكآبة والقلق قد حلا محل الهدوء الذى كان يميز ملامحه .

عيناه الزرقاوان العامقان المخترقان صارتا تلمعان ببريق حارم تحت حاجبيه الكثين .

لم يكن هذا هو التغير الذى يسببه الحزن فقط . يبدو أن لبعض العواطف الغاضبة دورا فى هذا ..

بدأ يتكلم بطريقة العسكرية المباشرة عن التكل الذى يعاينه بعد وفاة طفله . فجأة انفجر فى نوبة غضب عن ( الفنون الشيطانية ) التى سقطت ضحية لها . وكان غاضبا أكثر منه حزينا وهو يتساءل عن سبب صبر السماء على هذه الممارسات الشريرة الشهوانية .

كان أبى قد فهم على الفور أن شيئا غريبا جدا قد حدث ، فسأله - إن لم يؤلمه هذا - أن يوضح كلامه أكثر .. يوضح سبب هذه اللغة العنيفة التى يستعملها .



قال الجنرال :

- « يمكن أن أحكى لكك لن تصدقنى .. »

- « ولم لا ؟ »

قال مشاكساً :

- « لأنك لا تصدق إلا ما يتفق مع معتقداتك الأولى ..  
كنت مثلك فى البداية ثم تعلمت »

قال أبى :

- « جربنى .. أنا لست متصلب الرأى كما تظن .. أنا أعرف  
أنك لا تعتقد فى شيء إلا إذا وجدت البرهان عليه ، لذا  
استنتاجاتك دقيقة جداً . »

هنا نظر أبى إلى الجنرال وقد بدا أنه مرتاب بشكل واضح  
فى قواه العقلية . لحسن الحظ لم يلحظ الجنرال هذا . كان  
ينظر فى كآبة إلى حدود الغابة التى تمتد أمامنا

قال :

- « هل أنت ذاهب إلى خرائب ( كارنشتاين ) ؟ هذه مصالحة  
ممتازة .. كنت سأطلب منك أن تأخذنى هناك لنفحصها .. ثمة

شيء أرغب فى رؤيته .. كنيسة قديمة .. أليس كذلك ؟ بها  
مقابر هذه الأسرة المنقرضة ؟ »

قال أبى :

- « هذا مثير . هل تتوى المطالبة بهذا العقار ؟ »

قال أبى هذا فى مرح .. لكن الجنرال لم يضحك ولم يبد أية  
علامة على أنه سمع دعاية صديق .. على العكس بدا صارماً  
جداً وربما أقرب إلى التوحش .. كأن هناك شيئاً يستفز ..

قال :

- « أنا أتوى بعون الله أن أحقق عملاً خيراً هنا .. عملاً  
سيرى أرضنا من وحوش ، ويجعل الأبرياء ينامون فى  
أسرتهم فلا يخشون الاعتداء .. ثمة أشياء غريبة سأخبرك  
بها يا صاحبنى وكانت غريبة بالنسبة لى منذ بضعة أشهر »  
نظر له أبى ليس فى عدم تصديق بل فى اهتمام وخوف ..

قال :

- « بيت ( كارنشتاين ) انقرض منذ زمن طويل . مئة عام  
على الأقل .. زوجتى كانت منهم لكن الاسم واللقب انقرضا

القلعة هدمت والقرية هجرت .. مرت أعوام منذ خرج آخر دخان من مدخنة هناك .. سأحكى لك فى حينه لكننا الآن سنلتزم بترتيب الأحداث ..

« أنت رأيت ابنتى .. طفلتى .. ما من مخلوق فى جمالها ونضارتها »

قال أبى :

« نعم .. المسكينة .. حين رأيتهما آخر مرة كانت لطيفة جداً .. ولقد حزنت فوق التصديق عندما عرفت بخبر الضربة التى وجهت لك »

احتشدت الدموع فى عيني الجندي العجوز ، وقال :

« نحن صديقان قديمان وأنا أعرف أنك ستحزن من أجلى أنت تعرف أنها ليست ابنتى بالضبط لأننى لم أرزق بأطفال لكنى وصى عليها .. إن ما بقى لى من أعوام على الأرض لن يطول ، لكنى بعون الله أرغب فى إسداء خدمة للجنس البشرى قبل أن أموت .. أريد أن أصيب انتقامى على من سلبوا الفتاة حياتها فى ربيع شبابه »

قال أبى :

« أنت وعدت بقص كل شيء .. أريد أن أسمع .. »

كنا قد بلغنا نقطة طريق ( درونشتال ) الذى جاء منه الجنرال ، والذى يتفرع من الطريق الذى نقصد به (كارنشتاين) .

سأل الجنرال فى قلق :

« كم نبعد عن الخراب ؟ »

قال أبى :

« نحو نصف فرسخ . والآن دعنا نسمع القصة التى برعت فى تشويقنا لسماعها »

\*\*\*

## الفصل الحادى عشر

### القصة

بعد لحظات من الصمت راح الجنرال يرتب أفكاره ، وبدأ يحكى واحدة من أغرب ما سمعت من قصص .

- « طفلى العزيزة كانت تتطلع بشوق لزيارتكم .. وفى الوقت ذاته تلقينا دعوة من صديقى القديم الكونت ( كارلسفالد ) .. وقلعه على بعد ستة فراسخ من قلعة ( كارنشتاين ) .. كانت ضيافته لنا كضيافة الملوك .. كأن عنده مصباح ( علاء الدين ) ينفذ له ما يشتهى من أحلام .

« الليلة التى يبدأ حزنى منها هى ليلة حفل تنكرى رفيع . كانت الأرض مفتوحة والأشجار مزينة بالمصابيح .. مع عرض ألعاب نارية لم تره باريمن نفسها .. والموسيقا ! تعرفان أن الموسيقا ضعفى ! موسيقا تستلب الوعى ! أعظم آلات موسيقية وأعظم عازفين يمكن أن تجدهم فى أوروبا .

شعرت وأنا أسمع وأنظر كأئننى أحمل حملاً إلى رومانية شهابى .

عندما انتهت الألعاب النارية ، وبدأ الحفل . عدنا للغرف التى فتحوها للراقصين ..

كان حشداً أرسقراطياً جداً .. وكنت أنا النكرة الوحيدة هناك ..

وكانت طفلى العزيزة فى غاية الجمال .. لم تكن تضع قناعاً ، وقد أضفى حماسها وسرورها فتنة على ملامحها .

كانت هناك شابة يبدو أنها ذات شأن متأنقة وتضع قناعاً ، وتراقب طفلى بهتمام فائق ..

لقد قبلتها هذه الأمسية فى أكثر من مكان .. وكانت ترافقها سيدة مقنعة بدورها ، فاخرة الثياب .. وقد بدا أنها عظيمة الشأن ترافق الفتاة كوصيفة .

لو أن الفتاة الصغيرة لم ترتد قناعاً لعرفت بيقين أكبر إن كانت تراقب طفلى أم لا .. الآن أنا متأكد من أنها كانت تراقبها .

دخلنا صالوناً وكانت طفلى المسكينة ترقص وتستريح قليلاً على مقعد قرب الباب ، فدنست السيدتان اللتان ذكرتهما ، ووقفت واحدة جوارى بينما جذبت الأخرى مقعداً وجلست جوار طفلى .



مستفيدة من قناعها استدارت السيدة نحوي وندتني باسمي وبطريقة صديق قديم .. ثم بدأت محادثة معي أثارت فضولي بشدة .

تحدثت عن مواقف عدة قابلتني فيها . في المحكمة أو منزل شهيرة .. وتذكرت أحداثاً معينة نسيتهـا، لكنها كانت تنتظر في عثلى معلقة بانتظار لمستها لتصحو ..

صرت أكثر فضولاً لمعرفة من هى .. لكنها تملصت من محاولاتي ببراعة وبشكل لبق .. إنها تعرف أموراً كثيرة فى حياتى بشكل لا يمكن تفسيره .. وكانت هى تجد لذة غير عالية فى إذكاء فضولى .. فى رؤيتى أتخبط بين حدس وآخر .

فى الوقت ذاته كانت الفتاة الشابة التى تطلق عليها أمها اسم ( ميلاركا ) - وهو اسم عجيب - قد استطاعت بسهولة وبراعة أن تبدأ حديثاً مع طفلى ..

قالت مقدمة نفسها إن أمها معرفة قديمة جداً لى .. كانت تتكلم بتلك الجرأة التى يمنحها للناس القناع . كلمتها كصديقة وأطرت ثوبها وأطرت جمالها ..

راحت تسليها بدعابات عن الناس فى قاعة الرقص . كتبت نكية جداً مفعمة بالحياة متى أرادت .. هكذا صرنا صديقتين بعد قليل وأنزلت الفتاة قناعها مظهرة جمالاً ملحوظاً ..

لم أر وجهها من قبل وكذا طفلى .. كانت ملامحها جميلة فعلاً حتى أنه كان من العسير ألا تشعر بالانجذاب ..

بدأ لى أن طفلى والغريبة قد وقعتا فى حب بعضهما .. ومن النظرة الأولى ..

بدأت أوجه بعض أسئلة للسيدة .. قلت لها :

- « أنت حيرتني فهل هذا غير كاف ؟ الآن هل يمكن أن نتعادل وأن تسمحى لى بأن أنزع قناعك ؟ »

أجابت :

- « هل يوجد طلب أقل تعقلاً من هذا ؟ تطلب من سيدة أن تتنازل عن مزية تمنحها التفوق ؟ ! .. ثم من قال إنك ستعرفنى ؟ الأعوام تغير الكثير .. »

ضحكت ضحكة فيها شجن ، وقلت :

- « كما تريد . »

- « بل كما يقول لنا الفلاسفة .. وكيف تضمن أن مرأى

وجهى سيساعدك ؟ »

- « يجب أن أجرب .. لكن لا جدوى من التظاهر بأنك

امرأة عجوز .. معالم جسدك تخونك »

نظرت له امرأة ثم طلبت منى أن أحفظ لها مقعدها ونهضت مع الرجل . كانت تتكلم بجدية تامة مع ذلك الرجل ثم توارت في الزحام ولم أعد أعرف أين هي .

ظننت أحاول تخمين شخصية السيدة .. وفكرت في أن أنضم للمناقشة بين طفلتى والفتاة .. هكذا سوف أظفر باسمها وعنوانها وعقاراتها ..

لكنها عادت قبل أن يحدث هذا ، وقال الخدم إن عربتها جاءت .

\*\*\*

- « برغم هذا هي أعوام منذ رأيتى ورأيتك .. ( ميلاركا ) هناك هي ابنتى .. لا يمكن إذن أن أكون صغيرة السن .. حتى فى رأى من علمهم الزمن التسامح .. لا أحب أن تقارن وجهى بما تذكره على . ثم إنك لا تضع قناعاً لذا ليس لديك ما تبال به .. »

- « أطالب عطفك أن تنزعى القناع .. »

- « وأنا أضم عطفك لعطفى كى يبقى القناع حيث هو »

- « على الأقل هل أنت فرنسية أم ألمانية ؟ فأنت تجيدين اللغتين »

- « إن أصرح بهذا .. أعتقد أنها طريقة تدفعنى بها للكلام .. »

لم أعرف وقتها أن هذه المحادثة معدة سلفاً . وأنها غالباً تدرجت عليها كثيراً ..

هنا قطعها سيد مهذب يلبس الأسود فقط لا يعيه إلا أن وجهه هو الشحوب بعينه .. شحوب لم أراه إلا فى الموتى .

لم يتسم لكنه انحنى فى رقة وتهذيب ، وقال :

- « هلا سمحت لى سيدتى الكونتيسة بأن أخبرها كلمات قليلة سوف تهمها بشدة ؟ »

## الفصل الثاني عشر

### التماس

قالت لى السيدة إن ابنتها تتعافى من حادث ركوب حصان أثر على أعصابها بشدة .. السيدة ترغب فى ألا تفارق ابنتها لكنها مرتبطة برحلة شديدة الخطر تتعلق بالموت والحياة ..

قالت لى إننى سأعرف التفاصيل فيما بعد لكن ليس الآن .. كل ما طلبته منى كان أن أعنى بابنتها .. لقد أحسنت اللعب وألقت نفسها بالكامل فى بحر فروسيته ..

فى الوقت ذاته وبأحدى تصارييف القدر ، جاءت طفلى جوارى وبصوت خفيض اقترحت أن أدعو صاحبته ( ميلاركا ) لزيارتنا .. وخطر لى أن هذا سيروق لها بالتأكيد ..

فى ظروف أخرى كنت سأطلب منها أن تنتظر إلى أن نعرف على الأقل من هم .. لكن لم يكن عندى وقت للتفكير ..

لقد قهرنى جمال الفتاة الشابة الذى لا يقاوم ، مع نيران الأصل الكريم .. لهذا وافقت وقبلت أن أعنى بالشابة التى تطلق عليها أمها اسم ( ميلاركا ) ..

أومات السيدة لابنتها ثم راحت تحكى لها كيف أن ظروفنا قهرية تضطرها للرحيل وأننى سأعنى بها فى هذه الفترة .. ثم همست بكلمات لابنتها وقبلتها مرتين ، ثم رحلت بصحبها السيد الشاحب ببذلتة السوداء ..

قالت ( ميلاركا ) :

« فى الغرفة المجاورة نافذة .. أريد أن أودع ماما هناك وأرسل لها قبلة .. »

هكذا وافقتا .. دخلنا الغرفة معها ووقفنا فى النافذة ، فرأينا عربة أنيقة يحيط بها السمعة والخدم والأكباغ .. الرجل المتأنق يضع عباءة على كتفى السيدة ويرفع الكبود ليغطى رأسها .. وبدأت العربة تتحرك ..

قلت لنفسى :

« لقد رحلت ! »

وللمرة الأولى منذ وافقت بدأت أفهم حماقة ما فعلت ..



قالت الشابة في حزن :

« لم تنظر لفوق قط ! »

قلت :

« لقد نزعنا قناعها لذا لم ترد أن تكشف وجهها ..  
وما كن بوسعها أن تعرف أنك في النافذة »

تنهدت ونظرت لى ..

كان جمالها مذهلاً لدرجة أنني أسفت لأننى ندمت على  
كرم الضيافة .. وصممت على أن أعوضها عن الجفاء  
الواضح الذى استقبلتها به فى البداية .

طلبت الفتاتان منى أن نعود إلى حيث كانت الفرقة  
الموسيقية يجرى استبدالها ..

صارت صلة ميلاركا بنا وطيدة .. وسلّتنا بكلامها الملىء  
بالحيوية وقصصها عن القوم للعظام الذين رأيناهم فى الشرفة ..  
صرت أميل لها أكثر فأكثر كل دقيقة .. كانت ثرائرها مصلية  
فعلاً .. أنا الذى ابتعدت عن العالم فترة لا بأس بها .

وأدركت أنها ستمنح الحياة لتلك الأمسيات الوحيدة الكنيسة  
فى دارنا ..

لم ينته الحفل حتى صارت شمس الصباح فى الأفق ..  
كان الدوق الكبير يحب أن يرقص حتى هذه اللحظة ، حتى  
لا يستطيع المخلصون له أن يرحلوا أو يخلدوا للفرش ..

كنا فى صالون مزدحم عندما سألتنى طفلتى عن مكان  
( ميلاركا ) ..

كنت أحسبها معها وتصورت هى أنها معى .

من الواضح أننا فقدناها ..

فشلت كل محاولاتي للعثور عليها .. وخشيت أن ترتبك  
فى محاولة البحث عنا فتفترض أننا أناس آخرون ..

الآن اتضح لى بوضوح مدى حماقة التى ارتكبتها  
عندما استضفت هذه الأنسة .. بينما لا أعرف إلا اسمها .

وكنت مقيداً بوعود لا أعرف سبب الإصرار عليها لكنها تحتم  
ألا أسأل .. كما كن من السخف أن أسأل الناس عن الأنسة  
التي هى ابنة الكونتيسة التى رحلت منذ وقت قصير ..

جاء الصباح ، عندما قررت أن أتخلى عن البحث .. وحتى  
الثانية من اليوم الثانى لم نعرف شيئاً عنها ..

فى هذا الوقت دق خادم على باب ابنة أختى ليقول إن  
سيدة صغيرة قلقة جداً طلبت منه بجدية ، أن يخبرها عن

## الفصل الثالث عشر

### الحطاب

لم يخل الأمر من عيوب .. ففي المقام الأول كانت ( ميلاركا ) تشكو من كسل شديد .. الوهن الذي تلا مرضها الأخير ولم تخرج من غرفتها قط قبل العصر ..

بالإضافة لهذا كانت دوماً تغلق غرفتها من الداخل ، وتدس المفتاح في القفل .. ولا شك في أنها لم تكن في غرفتها أحياناً في الصباح الباكر .

أحياناً في الضوء الرمادي للشاحب للصباح كنا نراها تمشي بين الأشجار متجهة للشرق ، وتبدو كأنها غير واعية .

جعلني هذا أعتقد أنها تمشي في نومها .. لكن هذا لم يفسر لغز مغادرتها لغرفتها تاركة المفتاح في القفل من الداخل ..

وسط هذه الحيرة انتابني القلق بصدد أمر عاجل خطير ..

لقد بدأت طفلتى تفقد جمالها وصحتها .. وكان هذا بشكل غامض مخيف حتى أن الذعر سيطر على ..

٩٤ روايات عالمية .. ( كزيميللا )

مكان الجنرال ( شبيلازدورف ) وابنته الشابة ، الذي تركتها أمها في عنايته ..

لم يكن هناك شك .. صديقتنا الشابة قد ظهرت ، وليتنا فقدناها فعلاً !

حكيت لطفلتى قصة تفسر بها كيف فشلت في العثور علينا ..

في ساعة متأخرة - كما تقول - دخلت غرفة نوم مدبرة المنزل بالنسة من العثور علينا ..

هناك نامت نوماً طويلاً . طويلاً لكنه جعلها تستعيد قواها من جديد بعد إرهاق الحفل ..

في هذا اليوم جاءت ( ميلاركا ) البيت معنا ..

وكنت مسروراً لأنى ظفرت برفيق رائع كهذا لفتاتى الصغيرة ..

في البداية كانت ترورها أحلام مرعبة ، ثم كما تخيلت بدأت ترورها أطياف أو أشباح تمثل ( ميلاركا ) أحيانا وأحيانا تبدو كوحوش .. وهذه الوحوش تجوب غرفة النوم حول الفراش ..

بعد هذا تأتي الأحاسيس .. أحاسيس غير سارة لكنها ذات طابع خاص ..

يشبه الأمر كما قالت سريان تيار ثلجي في صدرها ..

في مرات أخرى كانت تشعر بإبرتين تخترقان صدرها تحت العنق بقليل .. فيدب فيه ألم حاد ..

أحيانا كانت تشعر بالاختناق ثم تغيب عن الوعي ..

\*\*\*

كنت أسمع كل كلمة يقولها الجنرال العجوز على حدة ، لأننا في هذه اللحظة كنا نمشي على الكلا الذي يمتد لجانبى الطريق .. وأنت تدنو من القرية التى لم تر دخان مبخنة منذ نصف قرن .

طبعاً يمكنك تخمين مدى الغربة التى شعرت بها ولما أسمع الأعراض التى تمر بى بالضبط .. بل إنه نكر علامات كنت حتى هذه اللحظة أحسبها خاصة بضيفتنا ( كارميلا ) ..

انفتحت ثغرة فى الأشجار ، فرأينا أننا تحت مداخل وأسقف القرية المخربة .. وبقيت القلعة المتداعية حولها أشجار عملاقة ..

— « وهنا كان يقيم آل ( كارنشتاين ) ! »

قالها الجنرال وهو يطل من نافذة كبرى على القرية .. رأى الغابة الممتدة بحدودها المتعرجة ..

واصل الكلام :

— « كنت أسرة كريمة .. وهنا كنت تكتب يوميات ملطخة بالدم . لكن من الغريب بعد الموت أن يواصلوا تلويث الجنس البشرى بالشهوات الفظيعة .. هنا كانت كنيستهم تحت »

وأشار إلى جدران عظيمة لبنانية قوطية ، المشهد الذى تراه وسط الأشجار الكثيفة جزئياً ..

وأضاف :

— « أسمع فأس حطاب . إنه منهمك فى قطع الأشجار .. أعقد أنه يمكن أن يمنحنا ما نريد من مطومات .. يخبرنا بقبر ( ميركلا ) كونيسة كارنشتاين . هؤلاء الفلاحون يحافظون على تقاليد الأسر العظيمة . بينما أسرار هؤلاء تفنى بين الأغنياء وتفنى الأسرة نفسها .. »

[ م ٧ - روايات عالمية عدد ( ٦٥ ) كارميلا ]



قال أبى :

- « لدينا صورة لـ ( ميركالا ) كونتيسة كارنشتاين فى بيتى ..  
هل تريد أن تراها ؟ »

- « فى وقت آخر يا صدىقى .. أنا لؤمن لى رأيتها فعلاً ..  
وما دفعنى للقدوم لك هو رغبتى فى استكشاف الكنيسة التى  
نحن ذاهبون لها .. »

فى دهشة قال أبى :

- « ماذا ؟ ترى الكونتيسة ( ميركالا ) ؟ لقد ماتت منذ قرن ! »

قال الجنرال :

- « ليست مئة للدرجة التى تعتقدها .. »

أجاب أبى وهو ينظر له وبذات درجة الشك السابقة :

- « أنت تحيرنى بشدة »

كان كلام الجنرال مليئاً بالحق والغيظ ، لكنه كان خالياً  
من الهلوسة أو الخفة ..

مررنا تحت أقواس الكنيسة القوطية وقال الجنرال :

- « بقى أمامى شيء واحد يهمنى فى الأيام الباقية لى  
على الأرض . أن أنزل بها الانتقام الذى لأحمد الله على  
أننى قلدر عليه »

فى دهشة سأل أبى :

- « عن أى انتقام تتكلم ؟ »

أجاب وقد احمر وجهه فى وحشية ورفع قبضته فى  
الهواء كأنه يمسك بمقبض فأس :

- « أن نقطع رأس الوحش !! »

صاح أبى فى ذهول :

- « ماذا ؟ »

- « نظير رأسها ! »

- « نظيره ؟ »

- « نعم .. بفأس قصيرة أو رفش أو أى شيء يمكن أن  
يمزق حلقها القاتل .. سوف تسمع »

ثم راح يرتجف انفعالاً ، وقال :

« هذه العارضة الخشبية تصلح كمقعد . إن ابنتك مرهقة فدعها تجلس ، وأنا سأنتهي قصتي المخبئة بعد بضع جمل »

كان قالب الخشب الملقى وسط العشب الذى يغطى إفريز الكنيسة يشكل مقعداً سرى أن أجلس عليه . فى الوقت ذاته نادى الجنرال الحطاب الذى كان يرفع بعض الأغصان المستندة إلى الجدران القديمة . وقد وقف الرجل قوى البنيان أمامنا والفأس فى يده ..

لم يستطع أن يخبرنا بشيء عن هذه الآثار .. لكنه قال إن هناك حارساً قديماً للغابة يقيم حائياً فى بيت القس على بعد ميلين ، وبوسعه أن يخبرنا بكل أثر من آثار ال ( كرنشتاين ) .

قال إنه سيحلبه لنا خلال نصف ساعة لو أنت أقرضناه جواداً من جيانا ..

سأل أبى الرجل :

« هل أنت مسنول عن هذه الغابة منذ زمن ؟ »

قال الرجل بلهجته العامية :

« أنا حطاب هنا طينة حياتى .. وكذلك أبى من قبلى .. وهكذا لعدة أجيال .. بوسعى أن أريك البيت الذى كان الأجداد يعيشون فيه فى القرية »

سأله الجنرال :

« لماذا صارت القرية مهجورة ؟؟ »

« لقد هاجمتها الأشباح العائدة من القبور والسرى كان الناس يلاحقون أكثر هذه الأشباح إلى قبورهم ثم يتخلصون منها بالسبل المعتادة . قطع الرأس سرمد . الحرق ، لكن قرويين كثيرين ماتوا أولاً »

وآدف :

« بعد هذا كانت الكثير من القبور تفتح ويحرق مصاصو الدماء من وجودهم . لكن القرية لم تهرأ تماماً . سمع أحد السادة من ( مورفيا ) وكان مسافراً من هنا هذه الأمور . وكان بارعاً فيها كأكثر الناس فى وطنه ؛ لذا سرس قلباً أن يخلص القرية من معذبيها ..

« فعل ذلك على النحو التالى : اختار ليلة ساطعة سمر ونساق برج الكنيسة بعد غروب الشمس مباشرة .. هكذا صار بوسعه أن يرى فناء الكنيسة تحته كما نراه نحن من هذه النافذة .. ظل يراقب حتى رأى مصاص الدماء يخرج من قبره ويضع جواره

قطعة الكفن التي كان منقوشاً فيها .. ثم يتجه إلى القرية ليهاجم سكانها ..

« رأى الغريب هذا كله فنزل من برج الكنيسة وأخذ قطعة الكفن وعاد بها إلى قمة البرج ..

« حينما عاد مصاص الدماء من جولته فتقد قطعة القماش . وصرخ في توحش في المورافي الذي رآه على قمة البرج . فتحداه هذا الأخير كي يصعد له ويأخذ الكفن ..

قبل مصاص الدماء التحدي ، وبدأ يتسلق برج الكنيسة .. فلما وصل إلى المورافي أخرج هذا سيفه وشطر جمجمة مصاص الدماء إلى نصفين ، فسقط هذا الأخير على فناء الكنيسة .. وهكذا نزل المورافي وأخذ الجثة لأهالي القرية الذين غرسوا وتدًا في قلبها وأحرقوها .. »

« هذا النبيل المورافي حصل على موافقة رأس العائلة على أن يزيل قبر ( ميركالا ) كونتيسة كارنشتاين وقد فعل هذا حتى أن مكان القبر قد نسي تمامًا .. »

سأله الجنرال في لهفة :

- « هلا أشرت إلى موضعه ؟ »

فهز رجل الغابات رأسه وابتسم ، وقال :

- « ما من كائن حي يستطيع إخبارك اليوم .. يقولون كذلك إن جسدها انتزع من هنا لكن أحدًا لا يعرف هذا بدقة .. »

كان وقت طويل قد مر .. لذا انصرف الرجل ، بينما بقينا نسمع باقي قصة الجنرال الغربية .

\*\*\*

## الفصل الرابع عشر

## اللقاء

واصل الجنرال :

- بدأت طائفتي تتدهور . فشل الطبيب الذي فحصها في أن يجد سبباً معقولاً لمرضها ..

رأى زكريا فشرح عمل (كونسولتو) .. هكذا استدعينا طبيباً نابهاً من (جراتس) .. مرت عدة أيام قبل أن يصل .. كان طبيباً بارعاً ويتمتع بالثقافة ..

فحص الرجلان طفلتي المسكينة .. ثم انسحبا إلى المكتب للمناقشة . كنت في الغرفة للملاصقة أنتظر سماع استدعائي ، فسمعت صوتيهما يرتفعان بشكل حاد أكثر مما تقتضيه مناقشة فلسفية ..

عندما قرعت الباب ودخلت ، وجدت الطبيب العجوز من (جراتس) مصراً على رأيه ، بينما الشاب زميله ينتقد النظرية بسخرية لا تخفى ، تصاحبها ضحكات ثقيلة .

لكن هذه المشاحنة انتهت بمجرد دخولي

قال الطبيب الأول :

- « زميلي المثقف يرى أنك بحاجة إلى مشاورة لا طبيب »

قال الطبيب العجوز من (جراتس) وهو طائر راس :  
- « سامحني .. سوف أجرب وجهة نظري بصدد الحالة في وقت آخر على طريقتي .. أخشى أن مهارتي وعلمي لن ينفعاني .. لكن قبل أن أرحل سوف أمنح بسى شرف أن أقترح شيئاً عليك »

وبدا كأنه يفكر ، ثم جلس إلى منصدة وراح يكتب  
لقد تركني هذا الكونسولتو حيث كنت . هكذا خرجت في الحقول شارد للذهن ..

إلا أنه بعد عشر دقائق لحق بسى ذات الطبيب من (جراتس) .. اعتذر لى لأنه اقتفى أثرى ، لكنه لا يستطيع أن يرحل بضمير سليم ما لم يتبادل معى بعض الكلمات



قال إنه لا يخطئ .. ما من مرض طبيعى يسبب ذات  
العلامات .. وإن الموت قد اقترب جداً . لكن يبقى من حياة  
الفتاة يوم أو يومان . لو توقفت النوبات القاتلة فلربما أمكن  
للفتاة استعادة قواها .. لكن هجمة أخرى سوف تطفئ آخر  
وهج حياة .. وهذا الوهج على وشك النفاد على كل حال .

سألته :

« ما نوعية النوبات التى تتكلم عنها ؟ »

« شرحت كل شيء فى المذكرة التى أضعها بين يديك ..  
بشرط أن تستدعى أقرب رجل دين وتفتح خطابى فى وجوده ..  
لا تطالعه إلا عندما يكون معك .. وإلا فسوف تستهتر به برغم  
أنها مسألة حياة أو موت .. »

وهكذا انصرف . كان الكاهن متغيباً لذا قررت أن أقرأ  
الخطاب بنفسى ..

فى وقت آخر أو حالة أخرى لربما أثار سخريتى ، لكن  
ما أكثر دروب الدجل والشعوذة التى يملكها الناس كامل

أخير عندما تقفل الطرق العادية ، وتكون حياة شخص عزيز  
على المحك ؟

سوف تقول إنه لا شيء أكثر سخفاً من خطاب الطبيب  
المثقف ..

كان يرشحه بعناية لمستشفى المجانيين .

لقد قال إن المريضة تشكو من زيارات مصاص دماء !

إن الثقوب التى تصفها جوار حلقها هى فى الحقيقة  
موضع غرس نابين طويلين حادين يميزان مصاصى  
الدماء .. دحك من العلامة الحمراء المحيطة بالثقوبين التى  
وصفها العلم بأنها شفتا الشيطان .. وكل عرض لدى الفتاة  
يتسق تماماً مع قصص سابقة لحالات مشابهة ..

كنت بطبعى لا أقبل وجود هذه الأمور .. لكنى كنت فى  
اتصص حالاتى وأنا أنفذ ما فى الورقة من تعليمات .

أخفيت نفسى فى غرفة تبديل الثياب المظلمة التى تفتح  
ببواب على غرفة الفتاة .. وكأنت شمعة تشتعل فيها ..  
وظللت أنتظر حتى غابت فى النوم ..

وقفت أنتظر حوار الباب والسيف جوارى على منصدة ..  
حتى تجاوزت الساعة الواحدة ..

رأيت حماراً أسود عملاقاً غير محدد يزحف عند قدم  
الفراش ، ثم بدأ حتى حنجرة الفتاة ثم بدأ ينتفخ . ويتحول  
إلى كتلة نابضة ..

للحبات .. ولت إلى تمثال .. ثم وثبت إلى السيف ..

تفلسف د " المخلوق الأسود نحو قدم الفراش ثم زحف  
عليها .. وأه آه رأيت ( ميلاركا ) تقف هناك صورة من  
الزعب والشراسة ..

ضربتها بسيفي لكني رأيتها عند الباب ..

ضربت من حديد وقد تملكني الذعر فإذا بها قد  
رحلت !

تهشم .. إلى شظايا عندما اصطدم بالباب ..

لا أستطيع أن أصف لك ما حدث في تلك الليلة الرهيبة ..  
لقد استيقظت لبيت كله وراح يتحرك . لقد ذهب شبح ( ميلاركا )  
لكن ضحيتها كانت تتلاشى بسرعة ..

وقبل الفجر ماتت ..

\*\*\*

كان الجنرال العجوز متوتراً ..

لم نتكلم معه وابتعد أبى قليلاً وراح يطالع الأسماء على  
شواهد القصور ثم دلف إلى باب كنيسة . أما الجنرال فاستند  
إلى جدار وراح يجفف عينيه ويتنهد بحرارة ..

سرنى أن أسمع أصوات ( كارمينيلا ) والمدام قادمة ..

ثم زالت الأصوات ..

في هذه العزلة ، وبعد سماع هذه القصة الغريبة ، التي  
ترتبط بهؤلاء الموتى كريمة المحند الذين اختلطت بقاياهم  
بالتراب واللباب من حولنا ، وكل حادثة منها ترتبط بهذه

القضية الغامضة ، وفي هذه البقعة المسكونة التي تحيط بها  
الخضرة الكثيفة .. بدأ الذعر يستولى على ..

غاص قلبي في قدمي وأنا أرمق هذا المشهد ..

كانت عينا الجنرال ترمقان الأرض إذ اتحنى ويداه على  
قاعدة أثر مهشم ..

وتحت مدخل باب تعاليه واحدة من تلك الشياطين  
القوطية الشالهة التي يهاها المزاج القوطي المولع  
بالرعب والتهكم معا .. رأيت في سرور الوجه الجميل  
لكارميللا .

كدت أنهض وأتكلم ، ورددت على ابتسامتها بهزة  
رأس ..

في هذه اللحظة التقط العجوز بجوارى فأس الحطاب  
وهجم عليها .. فما أن رآته حتى زحف تعبير متوحش على  
وجهها ..

كان تعبيرًا لحظيًا مرعبًا وهي تثب إلى الخلف ..

وقبل أن أصرخ هوى عليها بكل قوته ، لكنها تملصت  
ثم أمسكت به بقبضتها الرقيقة من معصمه .. حاول أن  
يحرر ذراعه للحظة لكن الفأس هوى على الأرض واختفت  
الفتاة ..

ترنح إلى الجدار وشعره الأبيض منتصب والعرق يبلل  
وجهه كأنما كان على شفا الموت ..

حدث كل شيء في ثوان فلا أذكر إلا المدام تقف أمامي  
وهي تكرر بلا انقطاع :

« أين المدموازيل كارميللا ؟ »

قلت لها :

« لا أعرف .. ربما هناك .. »

وأشرت إلى الباب الذي دخلته :

« منذ دقيقة أو دقيقتين .. »

« لكنى أقف فى المعمر منذ دخلت المدموازيل كارميلا ولم تخرج من عندى .. »

ثم بدأت تنادى كارميلا من خلال كل باب وكل نافذة .  
سألنا الجنرال :

- « هل تسمى نفسها كارميلا ؟ »

- « نعم .. »

- « وهى أيضا ميلاركا . وهى ذات المرأة التى كانت ( ميركالا ) كونتيسة كارنشتاين فلتفارقوا هذه الأرض الملعونة بأسرع ما تستطيعون ابقوا فى بيت الكهن حتى نعود لكم .. اذهبوا . فلربما لن تروا كارميلا ثانية ' »

\*\*\*

## الفصل الخامس عشر

### المحاكمة والإعدام

بينما هو يتكلم ظهر رجل من أغرب من رأيت ودخل من الباب الذى دخلت منه ( كارميلا ) وخرجت ..

كان طويلاً ضيق الصدر منحنياً يلبس الأسود ، كان وجهه اسمر امتلاً بأخايد عميقة .. وعلى رأسه قبعة عريضة غريبة المنظر . وعلى عينيه عوينات مذهبة ، ووجهه ينظر للسماء أحياناً وللأرض أحياناً أخرى .

صاح الجنرال فى دهشة :

- « الرجل نفسه !!! »

وبدا عليه سرور واضح ..

- « ما أسعدنى بلقائك أيها البارون العزيز !! لم أحلم

بلقائك بهذه السرعة »



ثم جذب الرجل من ساعده وقدمه لأبسى .. وأجرى التعارف بشكل رسمى ثم دخلوا فى محادثة جادة حميمة ..

تناول الغربى لفافة ورق من جيبه وفردها على سطح قبر قريب .

كان معه قلم رصاص بين أصابعه رسم به خطوطاً تخيلية بين نقطة وأخرى على الورق ، فاستنتجت أنها تصميم كروكى للبنية التى نحن فيها ..

صاحب هذا الشرح كما لى أن أسميه بقراءة من كتاب متسخ صنفير تلاصقت الكتابة على صفحاته الصفرة ..

مشياً عبر العمر الجانبي أمام البقعة التى كنت أقف فيها ، يثرثران ثم بدأا يقيسان المسافات بالخطوات وفى النهاية وقفا مواجهين جداراً ..

راحا ينزعان اللبلاب الذى يحيط به وينتزعان الملاط بعصيهما .. يكحطان هنا وهناك .. فى النهاية تأكدا من وجود قرص رخامى عليه كتابة محفورة ..

بمعاونة الحطاب الذى عاد رأينا نقشاً عملاقاً عليه شعار نبالة ..

يبدو أنه كان جزءاً من ضريح (ميركالا) كونتيسة (كارنشتاين) ..

لم يكن الجنرال كما بدا لى ممن يصلون ، لكنه ضم يديه للسماء كأنه يشكر الله ..

سمعتة يقول :

« غدا سيكون القوميسير هنا .. وسيتم تنفيذ الحكم طبقاً للقانون .. »

ثم استدار للرجل المسن ذى العوينات ذهبية الإطار وهز كتفيه بقوة وحرارة ، وقال :

« كيف لي أن أشكرك يا بارون ؟ كيف لنا جميعًا أن نشكرك ؟ سوف تنقذ هذه المنطقة من وباء ظل يطارد سكانها طيلة قرن كامل . إن العدو المخيف والحمد لله قد تم تحديد مكانه .. »

اقتاد أبى الغريب جانبًا وتبعنا الجنرال .

عرفت أنهم اتجهوا لمكان بعيد عن السامعين ليحكى قصتى .. ورايتهم يحدقون فى من وقت لآخر أثناء سرد القصة ..

لنا منى أبى ولثمنى مرة ومرتين .. وإذا أخذنى من الكنيسة قال :

« جاء وقت العودة . لكن أرى أن علينا أن نضم لمجموعتنا القس الطيب الذى يعيش قريبًا من هنا ، ونقعه بأن يلحق بنا فى القلعة »

هذه المرة نجحنا وكنت مسرورة بحق برغم أن التعب استبد به لدى عودتنا للبيت ..

لكن سعادتى صارت رعبًا عندما لم أجد أثرًا لكارميللا .. ثم لكن بعد قد فهمت معنى المشهد الذى رأيته فى الكنيسة للمهدمة وقدرت أنه سر يريد أبى أن يبقيه بعيدًا عنى ..

اختفاء كارميللا جعل المشهد يبدو فى ذاكرتى أكثر شناعة ..

هذه الليلة كانت الترتيبات استثنائية . خادمتان والعمدات فى غرفتى .. بينما القس وأبى فى غرفة الشباب الملاصقة .. وكان القس قد بدأ الليلة بطقوس معينة لم أفهم فحواها أكثر مما فهمت كل هذه الإجراءات التى قصد بها حمايتى أثناء نومي .

بعد أيام فهمت هذا كله ..

يجب أن أقول إن اختفاء كارميللا صاحبه انتهاء معاتقى الليلية ..

بلا شك أنت قد سمعت تلك القصة الخرافية المفزعة التي يحكونها في (ستيريا) و(مورفيا) و(سيلزيا) والصرب وحتى في روسيا ..

القصة التي نتحدث عن مصاصي الدماء ..

حتى لو جمعت شهادات الناس بكل دقة وحرص ، أمام لجان لا حصر لها ، وكل لجنة منها اختير أعضاؤها على أساس الذكاء والكفاءة ، فإن من العسير أو شبه المستحيل أن تتكرر وجود ما يدعى (مصاص الدماء) ..

بالنسبة لي لم أسمع أية نظريات عما رأيته وسمعته بنفسى ، باستثناء ما يؤمن به عامة الناس في ريف البلاد ..

في اليوم التالي دارت الطقوس الرسمية في كنيسة (كارنشتاين) ..

تم فتح قبر الكونتيسة (ميركالا) فميز أبى والجنرال ذلك الوجه الغادر رالع الجمال .. ..

مائة وخمسون عامًا منذ جنازتها لكن ملامحها تحمل نفاذ الحياة .. عيناها مفتوحتان ولا راحة عين تتبعث منها ..

قام طبيبان بفحص الجثة فأعلنا الحقيقة المروعة أن هناك نبضًا خافتًا وكذا تنفسًا يمكن الإحساس به .. الأطراف كانت ليئة والجلد كان طريًا . بينما امتلأ التابوت الرصاصي بالدم لعمق ست بوصات وقد رقد الجسد فيه .

هكذا اكتملت كل علامات وأدلة مص الدماء ..

تم استخراج الجسد طبقًا للممارسات القديمة ، وتم إيلاج وتد في قلب مصاص الدماء الذي أطلق صرخة حادة تنقّب الأذنين كأنها تفلت من شخص حي لحظة الاحتضار .

ثم تم قطع الرأس فاتفجر الدم من مكان القطع ..

بعد هذا تم وضع كل شيء على كوم من الخشب

وأضرمت فيه النار .. ثم ألقى الرماد في النهر ..

## الفصل السادس عشر

### الملك

أنتم تعتقدون أنى أكتب هذا الكلام برباطة جأش لكنى  
لا أفكر فى الأمر إلا وارتجفت ..

لم يدفعنى شيء سوى رغبتكم للصانقة المتكررة كى أجلس  
وأحكى قصة مزقت أعصابى لمدة أشهر ، وألقت بظل من  
رعب لا يوصف سيظل برغم مرور أعوام على تحررى يجعل  
ليالى وأيامى مرعبة ، ويجعل وحدتى رهيبة .

دعونى أحكى لكم شيئاً عن الهارون الجذاب الغريب  
( فوردينبورج ) الذى نحن مدينون لخبرته والذى استطاع أن  
يجد قبر ( ميركالا ) ..

كان يعيش فى ( جرقس ) على نخل ضئيل هو كل ما بقى له  
من أملاك أسرته الثرية ، وقد كرس نفسه للتحقيق فى موضوع  
مصر للماء الموثق ..

١٢٠ روايات عالمية .. ( كرميلا )

ومن ذلك الحين لم تترك المنطقة بزيارات مصاصى  
الدماء ..

لدى أبى نسخة من القرار الملكى وعليه توقيع كل من  
شهدوا هذه الأحداث .. وقد اعتمدت على هذه الورقة فى  
وصف تلك الأحداث .

\*\*\*



كانت تحت يديه كل المراجع المهمة في الموضوع مثل  
(ماجيا بوستيوما) .. (فليجون دي ميرابلييوس) .. إلخ ..  
لا أذكر إلا مجموعة محدودة من العناوين التي أقرضها  
لأبى .. وقد درس كل الحالات التي تم فيها بالفعل تنفيذ  
الإعدام بحق مصاص دماء ، هكذا توصل إلى قواعد تحكم  
أحياناً حالات مصاصي الدماء هذه .

مثلاً أذكر بالمناسبة أن اللون الشاحب الميت الذي  
ينسبونه لهذه الشياطين هو خيال مسرحي .. إنهم يبدون  
في القبر وفي المجتمعات كأنهم أصحاب ..

حينما ترى توابيتهم في الضوء تجد كل العلامات المماثلة  
لتلك التي وجدناها في حالة الكونتيسة (كارنشتاين) ..

أما عن كيفية مغادرة القبور والعودة لها دون أن يظهر  
خلل في التربة أو غطاء التابوت فأمر لا يمكن تفسيره ..

إن طبيعة مصاص الدماء الثنائية يحافظ عليها بقاؤه في  
القبر طيلة النهار .. بينما الجوع المريع للدماء هو الشيء  
الذي يجعله يصحو من نومه ..

أحياناً تستبد بمصاص الدماء شهوة قوية كشهوة  
الحب .. وهذه الشهوة تتعلق بأناس معينين لذا في بحثه  
عنهم يظهر صبراً لا ينفد وتكتيكاً متقناً .. وهو لا يتوقف  
أبداً إلا إذا حصل على غرضه .. وإلا إذا امتص الحياة من  
ضحيتته المشتهاة ..

لكنه لهذا الغرض وعلى طريقة الذواقة يطيل عذاب  
ضحيتته عمداً ويؤجل متعة القتل .. ويزداد لذة كلما اقترب  
من هدفه ..

لقد كنت أنا حالة خاصة جداً ..

كانت (ميركالا) مرتبطة بأن تتخذ اسماً إن لم يكن  
اسمها الحقيقي فعلى الأقل يتكون من ذات الحروف بلا  
زيادة أو نقصان ..

اسم (كارميللا) حقق هذا وكذا اسم (ميلاركا) ..

حكى أبى للبارون (فوردنبورج) الذي أقام معنا  
أسبوعين أو ثلاثة بعد قتل (كارميللا) قصة السيد المورافي



ومصاص الدماء في كنيسة ( كارنشتاين ) ، ثم سأل البارون عن الطريقة التي وجد بها قبر ( ميركالا ) المختلف منذ قرن ..

اتخذت ملامح البارون العجيبة شكل ابتسامة غامضة ونظر لأسفل ، وراح يعث في جراب عويناته ، وقال :

- « لدى مجلات وكتب عديدة كتبها هذا الرجل المرموق .. وأكثرها غرابة يحكى فيه عن تلك الزيارة التي قام بها إلى ( كارنشتاين ) .. إن التقاليد تتبدل مع الوقت كما تعرف ..

« قيل إنه من نبلاء مورفيا لأنه عاش في تلك البقعة ولأنه نبيل الأصل .. لكنه في الحقيقة كان من سكان ( ستيريا ) الأصليين .. في شبابه كان الحبيب المفضل والأكثر حرارة للكونتيسة ( ميركالا ) الحسناء .. وقد سبب له موتها حزناً لا يوصف ..

« من عادة مصاصي الدماء أن يتكاثروا لكن طبقاً لقانون شيطاني صارم .. تصور منطقة خالية منهم . فكيف يبدأ الأمر وكيف يتضاعف ؟

« سوف أخبرك .. شخص ما شرير أو مذنب يقتل نفسه .. المنتحر في ظروف معينة يتحول إلى مصاص دماء .. يزور هذا الكيان الناس أثناء نومهم فيموتون ويتحولون بشكل محتوم إلى مصاصي دماء في القبر ..

« هذا ما حدث مع ميركالا التي استحوذ عليها أحد تلك الشياطين .. إن سلفي ( فوردنبورج ) الذي ما زلت أحمل لقبه قد اكتشف هذا واكتشف أكثر منه خلال بحثه المصنئ ..

« من ضمن ما استنتجته أن تهمة مص الدماء سوف تتجه عاجلاً أو آجلاً نحو الكونتيسة الميتة التي كان يهيم بها حباً في حياتها ..

« أصابه الهلع من أن تنتهك حرمة رفاتها بفضيحة تنفيذ حكم الإعدام بعد الموت .. لم يتحمل هذه الفكرة سواء كانت الكونتيسة بريئة أم لا ..

« ترك ورقة غريبة يقول فيها إن مصاص الدم إذ يتخلى عن طبيعته الثنائية ، يقذف به إلى حياة بعيدة أكثر شناعة .. وقد اختار أن ينقذ حبيبته ( ميركالا ) من هذا ..

« قام برحلة هنا وتظاهر بأنه تخلص من بقاياها وأغلق قبرها .. لكن حينما تقدم به العمر استرجع مشاهد حياته فبدأ يدرك ما اقترفه .. وبدأ الرعب يستحوذ عليه .. »  
 « وضع العلامات التي ساعدتني على بلوغ ذات البقعة .. واعترف بالخديعة التي مارسها .. ولو كان ينوى القيام بشيء أبعد من هذا فقد حرمة الموت منه »

تكلّمنا في أمور كثيرة .. ومن ضمن ما قاله البارون :

« من علامات مصاص الدماء قوة يده .. يد ميركالا الرقيقة قد أطبقت كمصيدة من الصلب على ساعد الجنرال حينما أراد أن يضربها بالفأس .. بالإضافة لهذا تترك هذه اليد تنميلاً في الطرف الذي تمسك به يصعب أن يشفى منه .. »

\*\*\*

في الربيع التالي أخذني أبي في رحلة إلى إيطاليا ..

ظللنا بعيدين عن الوطن نحو العام . لقد استغرقنا وقتاً طويلاً حتى توارت ذكريات هذه الأحداث .. لكن (كارميللا) ما زالت تجد طريقها إلى ذاكرتي بأشكال غامضة متنوعة ..  
 أحياناً هي تلك الفتاة اللعوب الخاملة الجميلة ، وأحياناً ذلك الوحش المتلوى الذي رأيته في الكنيسة المهجورة ..  
 وأحياناً تولد من حلم يداعبني أتخيل فيه أنني أسمع صوت خطوات (كارميللا) الرقيقة على باب غرفة المعيشة .

تمت

شريدان لوفانو

١٨٧٢



مكتبة متكاملة  
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

60

كارميلا

● (كارميلا) ... عندما يخرج من القلاع المحورة والحراب والمقابر  
التي يسبح حول شواطئها الضبابية، مع المشاعر المضطربة الغامضة  
للفتاتين مرافقتين.

● (كارميلا) ١: القصة التي لا يمكن الكلام عن الرعب القوي من  
دون قراءتها، ولا يمكن الكلام عن مصاصي الدماء من دون ذكرها.

● القصة التي ألهمت (برام ستروكر) برالعه (دراكولا) وعاشت في  
كل أبنى العالم الغربي أكثر من قرن كامل.

المؤسسة  
العربية للطباعة

تطوع النشر والتوزيع بالعمرة والمملكة العربية



التمويل من مصر ٣٠٠  
وما يعادله بالدولار الأمريكي  
في سائر الدول العربية والعالم